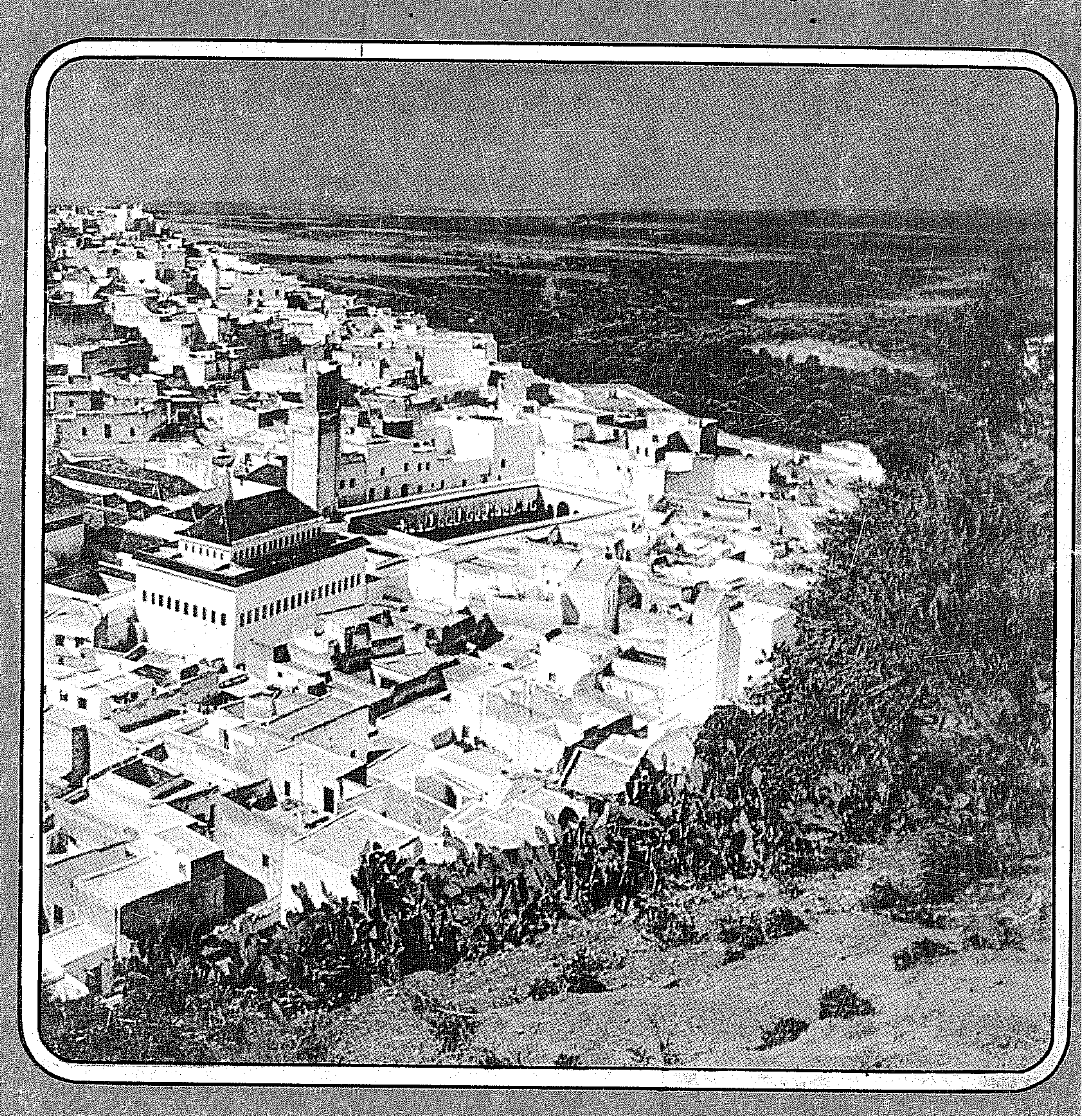
هدية العدد : براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الخامسة عشرة ○ العدد ١٧٨ ○ شوال ١٣٩٩ هـ ○ اغسطس ١٩٧٩ م



اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

منظر فريد لمدينة مولاى ادريس بالمغرب وقد ظهر في وسطها المسجد الكبير بفنائه وصومعته ، والمدينة مقامة على صخرة فوق وادي نهر خومان بالقرب من فاس .

انظر صفحة ٦٨



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الخامسة عشرة

العدد ١٧٨ ○ شوال ١٣٩٩ هـ ○ اغسطس ١٩٧٩ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

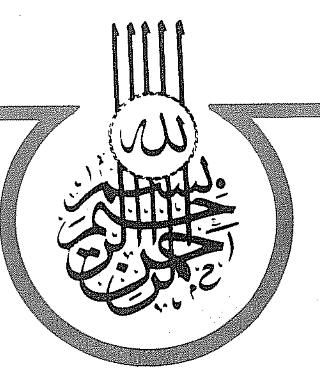
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



من هدى الاسلام في العيد

الأعياد في الاسلام ليست مجالات لهو آثم ، أو عبث يضيع به الوقت ، ويذهب معه الحياء ، ولكنها مواقف خالدة تستجمع فيها النفس قواها ، وتجدد عزمها ، ويجعل منها المؤمن نقطة انطلاق إلى الجد النافع ، والعمل المثمر .

واذا كانت أعياد الناس في دنياهم ، ترتبط بأمجاد شخصية ، أو ذكريات خاصة ، فان الأعياد في الاسلام ، ترتبط بقيم خالدة ، ومثل عليا ، تلقي الضوء على طريق الدعاة إلى الله ، وبناة الحياة ، والرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وحملوا أمانة الاصلاح ، فعيد الفطر ابتهاج باتمام فريضة الصوم ، وشكر لله على ما أفاء على عباده المؤمنين الصائمين من التوفيق لطاعته ، واستجابة أمره : (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) ، وعيد الأضحى ، مشاركة للحجاج في فرحتهم الكبرى ، باتمام مناسك الحج ، وبالأمل الكبير ، في أن يكونوا من أهل الرضى والقبول ، ومن الذين يظفرون بالجزاء الطيب ، الوارد في قول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه والذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) ، وفي حديث رواه مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من يوم أكثر من ان يعتق الله فيه عبدا من النار ، من يوم عرفة) .

وللاسلام منهجه في أيام العيد ، وللمؤمن خلقه وسلوكه في تلك الأيام المباركة ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كان يشارك أصحابه سرورهم بالعيد ، وحفاوتهم به ، وكان يزور القريب والبعيد ، ويمسح على رأس اليتيم ، ويتعهد جيرانه ، ويواسي الأرملة والمسكين ، ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق .

والاسلام يرغب في زيارة الناس وصلتهم في جميع الأوقات والحالات

لاسيما في أيام العيد التي يضاعف فيها الأجر ، ويثقل فيها ميزان المؤمن . بالكلمة الطيبة ، والبسمة التي يشرق بها الوجه .. والخطوة على طريق يوصلك إلى بيت أخ لك في الله ، تجبر خاطره ، وتجدد الصلة به ، فقد روى مسلم عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ـ أى بعث له ملكا في صورة إنسان ينتظره على الطريق وهو يمضي لزيارة أخيه ـ فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ ـ يعنى هل تقصد بزيارتك له منفعة عاجلة تطلبها منه ؟ ـ قال : لا غير أني أحببته في الله تعالى قال : فاني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) .

ومن هنا رغب الاسلام في استحباب الذهاب إلى صلاة العيد من طريق ، والرجوع الى بيته من طريق آخر ، ليمر على أكبر عدد من إخوانه المؤمنين ، ويصافح ويسلم على طائفة كبيرة من الناس ، في غدوه ورواحه ، يقول جابر رضي الله عنه فيما رواه البخاري : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق) أى ذهب من طريق ، ورجع من طريق آخر .

والاسلام دين التراحم والتكافل ، يدعو إلى ملاطفة اليتيم ، والبر به ، لا سيما يوم العيد ، يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا : وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما) وكافل اليتيم : القائم بأموره ، يرعاه ، ويعلمه ، ويحسن إليه .

كما يدعو الاسلام الى تحري مواضع الصدقة لتصل إلى أهلها المستحقين لها ، لا الذين يحترفون التسول وهم أغنياء ، ففي الحديث المتفق عليه يقول صلى الله عليه وسلم : (ليس المسكين الذي يطوف على الناس ، ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غني يغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس) .

هذا ومجلة (الوعي الاسلامي) إذ تقدم لقرائها الكرام التهنئة خالصة بالعيد السعيد ، لتسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الحق ، وأن يوجههم وجهة الخير ، وأن يهيىء لهم من أمرهم رشدا ، وأن يردهم إلى دينهم ردا جميلا . إنه سميع مجيب الدعاء .

رئيس التحرير

أحمد البسيوني



يزعم بعض المفكرين المسلمين في عصرنا الحاضر أن الآيات الكونية في القرآن الكريم لا يجب أن تفسر على ضوء العلم الحديث فان القرآن أسمى من كل هذه العلوم وأن النظريات العلمية مهما كانت قوتها فستظل قاصرة عن فهم كل المعاني في النصوص القرآنية الكريمة . وعلى ذلك ينبغي أن يظل القرآن الكريم في موضعه الصحيح من القدسية ويظل العلم البشري في موضع آخر .

وأغلب الظن أن مثل هذا الاحتراس من هؤلاء المفكرين المسلمين إنما ينبع من قلب مخلص خوفا من أن تكثر التفاسير وتكثر الآراء ، فتكثر الأخطاء ونحمل القرآن الكريم ما هو برئ منه .

ومع تقديرنا لهذه الآراء إلا أنني لا أوافق أصحابها على النتيجة التي وصلوا إليها .. وإننا نعتقد أنها دعوة لا تخدم القرآن الكريم في شئ ..

أولا : لهذه الدعوة جذور تاريخية ما كان يجب أن تخفى عليهم .. فلقد فوجئ فلاسفة الغرب بأن كتبهم الدينية المحرفة قد تناقض بعض ما جاء فيها مع ما اكتشفه العلم الحديث .

ففي التوراة مثلا ذكر أن عمر الأرض بضعة آلاف من السنين في حين اكتشف العلم الحديث على وجه اليقين أن عمر الأرض حوالي خمسة آلاف مليون سنة .. وما ذكرته بعض الكتب الدينية المحرفة أيضا أن الأرض مركز الكون وأن كل ما في الكون يدور

للدكتور احمد شوقي ابراهيم

حولها .. وما إلى ذلك من الخرافات التي خطأها العلم الحديث .. كل ذلك في الوقت الذي وجدوا فيه أن القرآن سابق بالحقيقة في كل شئ .. وما وصل العلم البشري إلى حقيقة علمية إلا ووجدوا أن القرآن قد ذكرها وبينها .

حينئذ استشعر فلاسفة الغرب الخطر على دينهم وكتبهم فكان أن قرروا العمل على إخفاء نور العلم القرآني وصرف النظر تماما عما جاء في كتبهم من أخطاء أظهرها العلم الحديث .. هنالك أوعزوا للمسلمين بدعوة في ظاهرها البراءة وفي باطنها الكيد والدهاء ألا وهي إن القرآن هو كلام الله ويجب أن يوضع موضع التقديس فلا ينبغي إذن أن تتطاول عليه علوم البشر بالتفسير .. والقرآن – والكتب الدينية جميعا – شئ ، وعلومنا البشرية شئ آخر لا يلتقيان .

وللأسف خدع بعض المفكرين المسلمين بهذه الدعوة وساروا وراءها يدعون إليها .

ثانيا : الاعجاز البلاغي كان له التأثير الأقوى قديما .. أما في العصر الحاضر فان التفسير العلمي هو الأعظم تأثيرا في نفوس الناس .. فالناس في عصرنا الحاضر لا تؤمن إلا بالأدلة العلمية ولا تثق إلا بالبراهين المنطقية . والاسلام يتعرض لتيارات فكرية معادية ، وبيان الاعجاز العلمي في القرآن أمر ضروري وملح في عصرنا الحاضر ، لأنه هو الوسيلة الأقوى لافحام أعداء الدين ، ولصد الموجة الالحادية العاتية التي تستهدف الجيل الجديد من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . وقد بين القرآن الكريم حقائق علمية كثيرة لم يكتشفها العلم إلا في العصر الحديث .. مثل الحقائق في علم الأجنة .. وحقائق علم الوراثة الحديث وعلم النبات .. وعلوم البحار والفلك وغير ذلك ..

ولا شك أن في إظهار ذلك دليلا على أن القرآن لا يمكن أن يكون من عند بشر ، لأنه لو كان من عند بشر لتحدث عن النظريات العلمية التي كانت سائدة في عصره .. أما أن يأتي بحقائق علمية لم يكتشفها العلم إلا بعد قرون عديدة من الزمان فان ذلك يضع المتشكك أو المكذب بالقرآن أمام أحد خيارين لا ثالث لهما : إما أن يصدق أن القرآن ليس من عند بشر وإنما هو من عند الله تعالى .. وإما أن يلغى عقله ويتخلى عن الفهم السليم ..

ثالثا : إن القرآن الكريم لم ينزل للعرب القدامى فحسب .. ولكنه نزل إلى كل العصور إلى يوم القيامة .. مصداق قوله تعالى في سورة الأنعام /١٩ (**وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**) أى إن القرآن نذير لكل من بلغه .. وحجة عليه يسأل عنه إذا كذب به .. وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » رواه أحمد .. من هذا نفهم أن القرآن الكريم نزل للناس كافة في كل زمان ومكان .. وما دام الأمر كذلك فلا يجب أن نكتفي بما جاء في التفاسير القديمة من تفسير الآيات الكونية والعلمية .. هذا مع احترامنا وتقديرنا لكل ما جاء في تلك التفاسير .. والقرآن الكريم خاطب الناس في كل العصور على قدر علومهم .. فأجاب العرب القدامى مثلا على تساؤلهم عن الأهلة في الآية الكريمة في سورة البقرة / ١٨٩ **(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)** . أما للناس في العصر الحديث فجاءت الآيات الكونية في علوم الفلك والطب وغير ذلك من العلوم .. ونقرأ في علم الفلك مثلا قوله تعالى في سورة فصلت / ١١ **(ثم استوى إلى السماء وهي دخان)** والسماء الدخانية لم يعرفها إلا العلم الحديث فحسب .. وقوله تعالى في سورة يس / ٣٨ ـ ٤٠ : **(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)** وهي حقائق علمية لم يعرفها العلم البشري إلا في العصر الحديث فحسب ..

وهكذا فقد خاطب القرآن الكريم كل عصر من العصور على قدر أفهامهم من غير مخالفة للحقائق العلمية التي تخفى عليهم .. فاذا جاء الزمن الذي يصل العلم فيه إلى فهم البعض من هذه الحقائق العلمية .. وجد التعبير القرآني موجودا ودالا عليها إما تصريحا وإما إشارة وتلميحا .

رابعا : ليس الأمر في الكونيات من الآيات الكريمة مثل الأمر في الشرعيات منها .. فالشرعيات من الآيات كان لا بد أن يتضح فيها التفسير تماما قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .. أما الكونيات فقد ترك بعضها للاجتهاد البشري على قدر طاقة الناس العقلية والعلمية في أى عصر من العصور مصداق ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت / ٤٣ : **(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)** وقوله تعالى في سورة العنكبوت / ٢٠ : **(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** وقوله تعالى في سورة يونس / ١٠١ : **(قل انظروا ماذا في السموات والأرض)** .

والمفسرون للآيات الكونية من العلماء يحاولون تلمس الصواب على ضوء ما لديهم من العلوم .. ولقد طرق الامام الشيخ محمد عبده التفسير العلمي للقرآن الكريم عندما جعل من قوانين الجاذبية لنيوتن أساسا لتفسير الآية الكريمة **(والسماء وما بناها)** الشمس / ٥ .

خامسا : أن تفسير الآيات الكونية والعلمية على ضوء العلوم الحديثة من اهم غاياته الاستمتاع بالنظر في كتاب الله نظرة الاجلال والايمان العميق والاعجاب مما يزيد الطمأنينة

وتعميق الايمان حتى في قلوب المؤمنين .. فهذا سيدنا ابراهيم عليه السلام وهو الواثق والعارف بربه يقول في سورة البقرة / ٢٦٠ : (**وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**) .. وسيدنا موسى كان يريد أن يرى الله وذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف / ١٤٣ : (**قال رب أرني أنظر اليك**) .

سادسا : على أنه ينبغي الاحتراس في التفسير العلمي للقرآن الكريم : فلا يجب أن يعتبر أي تفسير علمي تفسيرا حتميا للنص القرآني الكريم فقد يكون النص القرآني يعني ما توصلنا إليه من تفسير وقد يعني شيئا آخر لم تصل إليه علومنا ولا أفهامنا بعد .

كما لا يجب الاسراع في محاولة المطابقة بين مدلول النص القرآني وبين النظريات العلمية بقصد إظهار الاعجاز العلمي للقرآن الكريم .

كما لا يجب أن ننسى أن القرآن الكريم لم ينزل كتابا في الطب أو الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء أو غير ذلك من العلوم .. وإنما نزل القرآن الكريم علاجا شافيا للانسانية كلها .. وهدى للناس كافة يعطيهم النهج الصحيح في كل أمر من امور حياتهم .. لذلك لا يجب أن نحاول أن نستخلص من كل آية نظرية علمية .. ومن يفعل ذلك لا يكون عالما وإنما يكون إنسانا عاطفيا لا يستند إلى علم متين .

ولا يجب أن يكون التفسير العلمي إلا على أساس **الحقائق العلمية الثابتة** وحدها .. وليس **النظريات العلمية** .. فالنظريات العلمية تتعرض للخطأ والصواب .. والتغيير والتبديل .. فلا يجب أن نحملها على القرآن الكريم او نحمل القرآن الكريم عليها .

سابعا : وحتى مع الاعتماد على الحقائق العلمية في التفسير العلمي ، لا يجب استبعاد احتمال الخطأ في التفسير العلمي .. فلا يوجد أي مفسر معصوم من الخطأ .. فالعصمة كانت للرسول صلى الله عليه وسلم فقط وليس لغيره من البشر .. ولو أننا امتنعنا عن التفسير العلمي خشية الوقوع في الخطأ لكان من الضروري أن يمتنع كل مفسر للقرآن عن التفسير بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

من أجل ذلك نرى أن المسلمين في عصرنا الحاضر ينبغي عليهم أن يستعملوا كل ما آتاهم الله من علم في خدمة القرآن وإظهار ما فيه من كنوز المعرفة كل ذلك مع اتباع كل خطوات الحذر والاحتراس التي ذكرناها .

ولقد وعد الله تعالى عباده بأن يؤتيهم من العلم في العصور المختلفة ما يتيح لهم فهم بعض ما في القرآن من بيان كل حسب فهمه وعلمه مصداق ذلك قوله تعالى في سورة النحل / ٨٩ : (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**) وقوله تعالى في سورة القيامة / ١٨ و١٩ : (**فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه**)

والله سبحانه الموفق لما فيه الخير والرشد والسداد .



للدكتور/محمد بن محمد أبو شهبه

تخريج الحديث : اخرج الحديث ابو داود واخرجه ايضا الترمذي في جامعه ، ولم يذكر الصلاة وفي آخر تقديم ، وتأخير : واسناده صحيح انظر [جامع الترمذي ـ كتاب العلم ـ حديث رقم ٢٢٦٨].
واخرجه أيضا الامام احمد في المسند [المسند جـ ٤ ص١٣٠ ، ١٣١] وأخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن ـ باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم [سنن ابن ماجه حديث رقم ٤٢].

« الشرح والبيان »

« قالا : أتينا العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ وهو ممن نزل فيه : « ولا على الذين اذا ما أتوك

روى الامام أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني بسنده عن عبدالرحمن بن عمرو السلمى ، وحجر بن حجر قالا : أتينا العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وهو ممن نزل فيه : « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه » فسلمنا ، وقلنا : أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومقتبسين ، فقال العرباض : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب فقال رجل يارسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد الينا ؟ فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع ، والطاعة وان عبدا حبشيا ، فانه من يعش بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون » العرباض بن سارية صحابي جليل ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وغزا معه ، وجاهد في سبيل الله ، وقد أراد بقولهما : وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين ... » بيان منقبة من مناقبه ، وقد كان هذا في غزوة تبوك ، وكانت في السنة التاسعة للهجرة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم يجمعون الجموع لغزو المدينة ، فأراد أن يغزوهم قبل أن يغزوه ، وكانت هذه من سياسة رسول الله في الحروب ، وهى حكمة عالية بالغة الغاية في الصواب حتى لا يتجرأ الأعداء — وما أكثرهم — على غزو بلاد الاسلام ، وليبين لهم أن سلطان

الله في الأرض لا يخاف أحدا .

وكان مما حدث أن جماعة من المسلمين لم يكن عندهم ظهر يركبون عليه ، ولا نفقة ينفقون منها على الجهاد ، فجاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر لهم بعدم وجود الظهر الذي يركبون عليه ، فرجعوا وهم يبكون حزنا على ما فاتهم من شرف الخروج في الجهاد في سبيل الله فليع المسلمون والعرب اليوم ذلك ، وليعلموا أنه لا يمكن استرجاع عزتنا المفقودة ، وقوتنا المرهوبة إلا بأن نتخلق بأخلاق هؤلاء السادة الأبرار ، حبا في الجهاد ، ورغبة في الاستشهاد وهذا المذكور في الحديث جزء من الآية الثانية والتسعين من سورة التوبة .

« قلنا أتيناك زائرين ، وعائدين ، ومقتبسين ».

والزيارة من حق المسلم على المسلم ، وكذلك العيادة من حق المسلم على المسلم كما في الأحاديث الصحاح في الصحيحين وغيرهما ، والظاهر أنه كان مريضا ، وإلا تكون العيادة بمعنى الزيارة ، ويكون الكلام من قبيل عطف التفسير ، ومعنى « ومقتبسين » يعني من علمك ومروياتك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالعلم نور ، وما سيأخذانه منه من العلم قبس من هذا النور ، وهو تعبير بليغ وقد كان الرجلان بليغين حقا حيث قدما الزيارة ، والعيادة ، على الاقتباس ، فهو من قبيل تقديم الوسيلة بين يدى المطلوب وهو يدل على ما كان يتمتع به الصحابة من البلاغة ، والذكاء ، والكياسة « فقال العرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ».

وكان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ما صلى بالناس صلاة جماعة استدار اليهم .. وواجههم ، ليعظهم ويذكرهم ، أو ليسأله سائل فيجيبه ، والموعظة البليغة هى المطابقة لمقتضي الحال ، وللظروف والملابسات التي كانت تدعو اليها آنذاك ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله فصيح بليغ ، فوصف « الموعظة » بالبليغة من قبيل التوضيح ، لا التخصيص لأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مواعظ غير بليغة ، نعم فيها البليغ والأبلغ .

ومعنى « ذرفت » اي سالت وجرت من تأثيرها الدموع من العيون ، « ووجلت » يقال وجل القلب ـ بكسر الجيم في الماضي ـ يوجل ـ بفتح الجيم في المضارع ـ من باب سمع يسمع اذا خاف وفزع والوجل : خوف ممزوج بخشية الله ، والاشفاق على النفس من عقابه ، ومثل هذا تظهر آثاره بذرف الدمع من العين .

« فقال رجل : يارسول الله كأن هذه موعظة مودع !! فماذا تعهد الينا ».

الظاهر أن هذه الموعظة كانت في أخريات حياة النبي صلى الله عليه

وسلم ومعنى « مودع » أي للدنيا ولنا ، وقد كان الصحابى القائل لهذه المقالة على غاية من الدقة في التعبير ، فلم يقل : انها موعظة مودع مثلا ، وانما قال « كأن هذه ... » لأن اليقين في مثل هذا غير ممكن ، لأن الأعمار بيد الله ، والآجال لا يعلم حقيقتها الا الله تبارك وتعالى وصدق الله : **(وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير)** لقمان / ٣٤ .

وقد فهموا كونها موعظة مودع ، من الموعظة ، ومن القرائن والأحوال التي كانت حينئذ .

« فماذا تعهد الينا » يعني توصينا : يقال : عهد اليه بكذا يعهد ، اذا أوصى اليه .

فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشيا فان من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ».

وقد كانت الوصاة بتقوى الله لازمة من لوازم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواعظه ، والتقوى لها معنيان : معنى قلبي نفسي ، وهو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « التقوى ههنا – ثلاثا – واشار الى صدره الشريف » ومعنى يتعلق بالجوارح والسلوك وأحسن ما تعرف به : امتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، وهى بهذا المعنى شاملة لكل هدى ، وحق ، وخير ، فمن ثم ظهر السر في توصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بها دائما في خطبه ، ومواعظه ، والتقوى ما لم تكن نابعة من القلب فانها لا تدوم ، وسرعان ما تزول .

وقد كان رسول صلى الله عليه وسلم على حق حينما أتبع التوصية بالتقوى بالتوصية بالسمع والطاعة للخليفة والأمير وان كان عبدا حبشيا وعبدا منصوبة على أنها خبر كان المحذوفة مع اسمها ولذلك نظائر في الأحاديث الصحيحة ، ففي حديث بدء الوحي المروى في الصحيحين عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – قول ورقة بن نوفل : « يا ليتني فيها جذعا » أي أكون جذعا .

وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه سيكون هناك خلاف على الخلافة والامارة ، فكانت الوصية بالسمع والطاعة أمرا لابد منه وليس أدل على ذلك من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجاور الرفيق الا وقد بدأ الخلاف على الخلافة ، ولولا فضل الله على هذه الأمة وتوفيقه لقادتها فبايعوا الخليفة الأول الصديق أبا بكر – رضي الله عنه وأرضاه – ثم صار اجماعا فيما بعد ، لكانت فتنة في الأرض ، وفساد كبير ، ثم كان بعد ذلك من الخلاف على الخلافة ، بعد سيدنا عثمان رضي الله عنه ، ما أحدث صدعا في وحدة الأمة الاسلامية حينذاك ووقعت وقائع عظيمة سالت فيها الدماء بلا حساب ، ولسنا نخوض فيما وقع ، فتلك دماء طهر الله منها أيدينا ، فلنطهر منها السنتنا – والله تبارك وتعالى – يغفر لنا ، ولهم ، والله

المستعان ، وعليه التكلان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها ، بالنواجذ » السنة المراد بها هنا الطريقة المشروعة في الدين ، فتشمل الاعتقاديات ، والعبادات واجبة كانت ام مندوبة ، والمعاملات والاخلاقيات ، والجنائيات ، والسياسات ، والمعاهدات وغيرها « وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ».

السنة : هى الطريقة ايضا والخلفاء الراشدون : هم السادة الاخيار ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضوان الله عليهم أجمعين .

والراشد : اسم فاعل من رشد ، يرشد ، من باب : فرح يفرح ، ورشد – بفتح الشين – يرشد – بضم الشين – من باب : نصر ينصر رشدا ، ورشدا ، ورشادا ، والرشد ضد الغى ، والرشد : الاستقامة على الدين ، والالتزام بتكاليفه .

و« المهديين » جمع مهدى ، يقال : هداه ، يهديه فهو مهدى ، والله هاديه ، والمهدى : هو الذي هداه الله ، وأوصله الى الحق ، ووفقه الى الدوام عليه .

« والنواجذ » جمع ناجذ ، وهى الأضراس التي بعد الأنياب ، وهذا مثل لشدة الاستمساك بالأمر ، والحرص عليه ، لأن العض بالنواجذ يلزم منه العض بجميع الأسنان ، أو بمعظمها على الأقل .

« وإياكم ومحدثات الأمور » هذا تحذير من الوقوع في البدع المضلة والمحدثات : جمع محدثة ، وهى البدعة ، والبدعة : هى كل ما استحدث وليس لها أصل ودليل في الشرع من كتاب ، أو سنة ، أو إجماع ، أو قياس أما ما يكون لها أصل في الشرع فلا يعتبر بدعة فكتابة القرآن في صحف مجموعة في عهد الصديق رضي الله عنه ، والمصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه لا يعتبران بدعة لأن لهما أصل في الدين ، وهو وجوب المحافظة على القرآن الكريم ، وما أدى الى الواجب فهو واجب ، وكذلك فقط المصاحف ، وشكلها لصيانة القرآن من اللحن ، والتحريف لا يعتبران بدعة أيضا بل هما من الأمور الواجبة – « وكل محدثة بدعة » وما دمنا عرفنا البدعة بأنها ما ليس لها دليل ، ولا أصل فلزم أن تكون كل محدثة بدعة ، وأما ما له أصل في الدين فهو بمعزل عن البدعةوالعلماء المحققون على هذا ، وعليه فلا يقسمون البدعة الى الأحكام الخمسة ، وأما الذين قسموا البدعة الى الاحكام الخمسة فهم يريدون بالبدعة كل ما استحدث سواء أكان لها أصل في الدين أم ليس لها وعند التحقيق نجد أن الخلاف لفظي ، وليس حقيقيا ، وأنه اختلفت العبادات لاختلاف الاعتبارات .

« وكل بدعة ضلالة »

وحق للبدعة أن تكون ضلالة ، لأن ما ليس مشروعا ، ولا دليل له في الشرع يعتبر ضلالة ، إذ ليس بعد الحق المشروع إلا الضلالة ، ونعوذ

بالله من الضلالة ، والعمل بها ، وفي الحديث الصحيح المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي رواية للامام مسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » يعني مردود عليه ، وغير مقبول لمخالفته لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه .

ويؤخذ من الحديث الاحكام والآداب الآتية :

وجوب الاستمساك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريقته ، وهديه وهى شاملة لما ثبت بالقرآن الكريم الذي هو أصل الدين ، ومنبع الصراط المستقيم ، ولما ثبت بالسنة والأحاديث ، التي تعتبر الأصل الثاني من أصول التشريع في الاسلام ، والاعتصام بها في كل شأن من شؤن ديننا ودنيانا .

وجوب السمع والطاعة لمن تولى أمور المسلمين وان كان عبدا حبشيا كأن رأسه زبيبة كما في الأحاديث الأخرى ، مادام مطيعا لله ، قائما بحقوقه ، وحقوق الرعية التي شرعها الاسلام ، فان عصى الله أو أمر بشيء فيه معصية الله فلا طاعة له ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انما الطاعة في المعروف ».

وقد كان الشارع الحكيم حكيما غاية الحكمة حينما أمر بالسمع والطاعة للأمراء لأن لو فتحنا باب المخالفة والمحادة ، والمحاربة لأية مخالفة تبدر من الولاة لأصبحت حياة المسلمين ، حروبا متواصلة ، وفي ذلك فتنة في الأرض وفساد كبير واي وال لا يمكن أن يرضي جميع الرعية !! لأن الكثرة الكاثرة من المسلمين تتحكم فيهم الاهواء والشهوات النفسية ، وصدق الله : **فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** » التوبة/٥٨ .

أن سنة الخلفاء الراشدين الأربعة كسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه شهادة لهم ، وتزكية بأنهم على الحق ، ولا يتطرق لأعمالهم الا بتداع وأنهم متبعون ، وليسوا بمبتدعين ، ونعوذ بالله أن يطعن فيهم طاعن أو يحكم عليهم بالعصيان ، أو الكفر زنديق ملحد ، بعد شهادة الله تبارك وتعالى لهم في غير ما آية ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كما سمعت .

إن الخير كل الخير في الاتباع : اتباع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الصحابة الكرام ، ولا سيما الخلفاء الراشدون الأربعة والشر كل الشر في الابتداع ، والبدعة أحب الى الشيطان من كذا وكذا معصية لأن المبتدع يفعل البدعة وهو يعتقد حسنها ، والتقرب الى الله بهما أما العاصي فهو يفعل المعصية ، وهو يعلم أنها معصية ، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المتبعين ، ونعوذ بالله من ان نكون من المبتدعين .



بداية ونهاية

ـ ١ ـ

الانسان مادة وروح ، او بمعنى آخر ، هو جسم من لحم ، ودم ، وعظم ، وروح تبعث الحياة في هذا الجسم . فاذا زايلت الروح هذا الجسد ، همد وسكن ، واحتواه الموت !

هذا ما يشهده الانسان ، فيما يرى من الموتى ، الذين يرون ، وكأنهم نيام ، ولكن لا حس ، ولا حركة ، ثم لم يلبثوا إلا قليلا ، حتى تتحلل أجسادهم ، وتتعفن .. ثم لا يكون لوجودها أثر !!

فالجسد والروح من طبيعتين متغايرتين ، ولكن الله تعالى ألف بينهما بقدرته وحكمته ، فكان منهما هذا الانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، واقامه خليفة على هذه الارض .

وكل طبيعتين مختلفتين ، إذا جمعتهما جامعة ، لا بد أن يكون بينهما صراع ، يريد كل منهما ان يستولى على الآخر ، وتكون له السيادة عليه ..

وكما يكون بين الناس هذا الصراع ، الذي يغلب فيه بعضهم بعضا ، ويعلو فيه بعضهم على بعض ، كذلك يقوم مثل هذا الصراع في ذات الانسان نفسه ، بين مطالب جسده ، وأشواق روحه .. فيكون في الناس من قوي فيه سلطان جسده ، حتى ليكاد يكون حيوانا لا أثر لعالم الروح فيه ، كما نشهد ، ذلك في كثير من أصحاب المذاهب المادية ، وما يدور في فلكها ، من وجودية ، وماركسية ، وغيرهما ، على حين يكون في الناس من علا فيه سلطان روحه ، حتى كاد يكون روحا



المادية والروح

للاستاذ/عبدالكريم الخطيب

بلا جسد ، كما نرى ذلك في بعض المذاهب الهندية ، وعند أغبياء المتصوفة وأدعياء التصوف !! وقليل هم اولئك الذين اخذوا طريقا وسطا ، فألفوا بين مطالب الجسد ، وأشواق الروح ، وأعطوا كلا منهما حقه ، وأقاموهما على ائتلاف ، ووفاق ، بحيث يخدم الجسد الروح ، وتعلى الروح من شأن الجسد ، وتحرره من كثير من قيود شهواته وأهوائه .

— ٢ —

ونحن اذ ننظر الى الماديين الذين أعلوا سلطان الجسد ، وغالوا في مطالبه — من جهة ، والى الروحيين الذين سلطوا الروح على الجسد حتى احرقته بنارها ، أو أحالته شبحا لا ظل له بين الأحياء — من جهة اخرى ... نحن اذ ننظر الى هؤلاء واولئك ، نرى عالمين متناقضين ، يزدرى كل منهما الآخر ، ويحقره ، ويفر منه كما يفر السليم من المجذوم !! وكلا الفريقين اعور بأى عينيه شاء .. يرى جانبا من الحقيقة فيحسبها كل الحقيقة ، وينكر الجانب الآخر منها . وهذا مزلق الى كثير من الاخطاء التي وقع فيها كثير من أصحاب المذاهب والمعتقدات ، اذ لا يرون الحق الا فيما وقع في تصوراتهم ، وان كان من واردات الاوهام ، ووساوس الشياطين !!
ولو انك ذهبت تسأل أيا من الماديين أو الروحيين ، عما وجد في المذهب الذي تمذهب به ، لأسمعك كل منهما من الحجج والبراهين ، ولاقام لك من الادلة المنطقية بناء شامخا ، يغريك باللجوء اليه ، والاحتماء به ، لتجد في

ظله الحياة الطيبة الآمنة .

ـ ٣ ـ

يستطيع المادي ان يقول لك : إنه وقد تعامل مع الواقع المحسوس ، وضرب صفحا عن التصورات والخيالات التي تزحف على أصحاب العقول الضعيفة ، مما وراء المادة .. إنه إذ فعل هذا فقد امتلأت دنياه بمحصول وفير من كل ما يريد ... لقد اجتمع له المال ، والثراء ، والترف .. فسكن القصور الشامخة ، وركب السيارات الفاخرة ، واعتلى متن الهواء بالطائرات ، واخترق اعماق البحار بالغواصات ، وسخرت له قوى كل شئ ، حتى أصبح سيد هذا الكوكب الأرضي .. ثم صعد في السماء يبحث عن كوكب جديد ، يسخره بسلطانه ، ويقيم لنفسه خلافة عليه ، وها هوذا الآن قد وضع قدميه على القمر !!

ثم ان هذا المادي ، يستطيع ان يقول لك ، ويقيم الشواهد من الواقع على ما يقول : ان الغنى ، والجاه ، والقوة والسيادة كلها في يد العالم المادي .. وان الأمم التي آمنت بالمادة ، وعاشت عليها ، هي الأمم التي تدير سياسة العالم اليوم ، وتمسك بزمامه !!

فاذا هو رأى منك شيئا من الشك فيما يقول ، أو التردد في التمذهب بمذهبه ، فتح لك نافذة يطل بك منها على العالم الروحي ، ثم يقول لك : انظر إلى هذا العالم ، هل ترى فيه إلا أمساخا من الناس ، بين أعمى ، ومقعد ، وبين مخبول ومجذوب ، وعريان وشبه عريان ، ومريض ومتمارض ، ومتكفف يسأل الناس ، ومحتال يمتص الدماء !

ثم يقول لك : وانظر إلى تلك الأمم والشعوب التي ظلت على وفائها للعالم الروحي ، وتمسكها به ـ لقد مسها الضعف ، وأصابها الكبر ، واستبد بها الفقر ، وتمشى في ربوعها الجوع والحرمان ، والمرض والجهل ! وكل هذا قد صار بها إلى أن تصبح تابعة للأمم المادية ، مسخرة لها ، متعلقة بركابها ..

ثم يدعوك إلى ان تنظر فيما حولك من هذا العالم ، قائلا لك : هل رأيت انسانا من هذه الأمم وتلك الشعوب المتعلقة بأشباح الروحية ـ هل رأيت رجل فضاء ؟ وهل رأيت قنبلة ذرية او هيدروجينية ؟ بل هل رأيت مكتشف دواء لمرض ، أو علاجا لعلة ؟

إن الأمر ـ يا صاحبي ـ كما ترى ، لا يحتاج إلى كثير من البحث والفحص ، لتدرك هذا الفرق البعيد الشاسع ، بين الحياة التي يحياها الناس ، افرادا وأمما ، في العالم المادي ، وبين تلك الحياة التي يحياها الناس ـ افرادا وشعوبا ـ في العالم السابح في سراب الروحية ... فهناك في العالم المادي ، حياة « تزخر بالقوة والنشاط ، وبكل مباهج الحياة ، بلا استثناء ... وهنا في عالم الأرواح ، او الأشباح ، موات يسرى في كل شئ ، من عوالم الجماد ، والحيوان ، والانسان .. فكل القوى معطلة ، وكل الموجودات عقيم لا تلد شيئا !!

إن العالم المادي ـ كما يحكى هذا المتحدث عنه ـ هو مهبط قلوب الأمم الروحية ، ومبعث أشواقها .. اليه يحج طلاب العلم والمعرفة ، واليه يسعى طلاب الرفه والمتعة ، واليه ينزح أصحاب الهمم ، وعشاق المجد .. فمن لم يستطع أن يحيا في أوطان المادية بجسده ، عاش فيها بعقله وقلبه ، وهفا اليها بأشواقه وأحلامه ، وجلب إليه كل ما اثمرت الحياة المادية ، فعاش ماديا في أرض روحية ، لا صلة له بها الا صلة المولد والموطن ! أما العقل ، وأما القلب ، فمع الحياة المادية على أى حال !!

ـ ٤ ـ

ولعله إذا استمع الروحي إلى هذا المنطق من الماديين ، زوى عينيه ، وزم شفتيه ، واستعاذ بالله ، من همزات الشياطين ، وضلالات الضالين ، وربما خاف على نفسه الفتنة ، فوضع اصبعيه في اذنيه ، وولى هاربا ، لا يسمع ولا يرى !!

ولو أراد الروحي هنا أن يقول ما يرد به على المادي مقولته ، لوجد مجال القول متسعا بين يديه ... إنه قد يقول : إن دنياه ، وان خلت من كثير مما يزخر به العالم المادي من زخرف الحياة وزينتها ، فان لديه رصيدا لا ينفد من القناعة بالقليل الذي بين يديه ، ومن الرضا بالزاد الذي يحفظ البدن ، ويبقى الرمق ، وبالثوب الذي يغطى الجسد ، او يستر العورة ! ان قلبه عامر بالسكينة والرضا ، لا تفزعه مصائب الحياة ، ولا تكربه همومها ، ولا تؤرقه طوارق احداثها ، التي يواجهها الماديون بالانتحار !!

حقا ، إن العالم المادي قد عمرت دنياه بماديات الحياة ، وشهوات الأنفس ، ولكن ذلك كان على حساب انسانية الانسان ، الذي قوى جسده ، وضمرت روحه .

إن الانسان المادي ، أشبه بالتمثال الجميل ، تظهر عليه سمة الأحياء ، ولكنه في واقع الأمر جماد لا يتحرك .. « وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسه ؟ وماذا يعطى الانسان عن نفسه ؟ هكذا يقول السيد المسيح عليه السلام » !

إن العالم المادي هو مثار هذه الأعاصير ، ومهب هذه العواصف التي تهب على الانسانية ، فتعصف بأمنها ، وتؤجج نار الحروب المدمرة التي تحصد ملايين الأرواح ، وتخرب كل عامر ، وتهدم كل صالح !!

ـ ٥ ـ

وندع الماديين يقولون ما يقولون عن ماديتهم ، وما ينعمون به في جهنمها ، او جنتها .. وندع الروحيين يقولون ما يقولون في الماديين وسوء مصيرهم الذي يلقونه على يديها .

إن كلا الفريقين ـ في شريعة الاسلام ـ على غير الطريق السوى ـ وكلاهما نصف عريان ، لا يستر إلا نصف جسده الأسفل أو الاعلى !!

فليست المادية ـ في نظر الاسلام ـ شرا محضا ، ولا خيرا خالصا ، وليست الروحية ـ في شريعة الاسلام ـ خيرا مطلقا ، ولا شرا محضا !

إن الاسلام ، لا يرضى عن المادية المجردة من الروح ، كما لا يحمد الروحية الخالصة من المادة .. والذي يرضاه الاسلام ، ويحمده من الانسان ، هو أن تلتقي فيه المادة مع الروح ، وأن يأتلفا ائتلاف النور بالظلام عند الشفق او الغسق ..!! حيث لا تستطيع أن تقول عن هذا المشهد : إنه نور ، كما لا تستطيع ان تقول عنه : إنه ظلام .. بل هو نور وظلام معا .. كذلك الشأن فيما ينبغي أن يكون بين الروح والجسد في الانسان .. ومن هنا ينبغي أن يكون منهج الانسان السوى في سياسة نفسه قائما على التوازن بين الروح والجسد ، وان تكون مطالبه دائرة في مدار الجسد والروح معا !

وليس ضبط هذا المنهج ، وتحديد تلك المطالب بالأمر الهين واليسير ، بل إنه لأشق عمل يواجه الانسان في مسيرة حياته ، وأعقد مشكلة تقتضيه بذل كل ما في كيانه ، من عقل ، ووعي ، وارادة ، وحيلة ، وحكمة ، كي يمكنه ان يعطي كلا من الروح والجسد ، حقه ، وأن يقيم أمره على صراط مستقيم !

إنها عملية جراحية دقيقة ، يحاول فيها الانسان ان يزاوج بين طبيعتين مختلفتين : الروح ، والجسد ، الماء والنار ، النور والظلام .. الخير والشر .. الملك والشيطان .. الانسان والحيوان !

إنها عملية تحتاج حصافة ، وحكمة ، وصبرا ... وبغير هذا يختل التوازن ، ويفسد الأمر ، ويشتد الصراع ، ويهلك أحد الخصمين خصمه ، او يهلكان معا .

أرأيت الى الطبيعة ، وما فيها من عناصر مختلفة متباينة ؟ ثم أرأيت كيف ارادها الخلاق العليم ، ان تؤلف بين عناصرها المتنافرة المتباينة ، فيتولد منها ما يتولد من نعم لا تحصى ، ومن خير لا ينفد ؟ من الطين الميت الهامد ، يخرج الزهر مختلف الألوان ، والاصباغ ، والطيب ؟ ومن الطين الميت الهامد تخرج الفواكه ، متباينة المذاق ، مختلفة الطعوم ؟

ثم انظر .. هذا الماء الذي تحيا به الأحياء ، والذي نشأت منه الأحياء ، بتدبير الخالق ، وحكمته .. انه من عنصرين مختلفين طبيعة وكونا ، الأوكسجين والأيدروجين .. جزء من الأوكسجين ، وجزءان من الأيدروجين ، ومع هذا فقد كان من امتزاجهما الماء .. ولكن أى امتزاج ذلك الذي قام بينهما ؟ إنه بحساب وتقدير ، وبغير هذا الحساب الحكيم ، وذلك التقدير الدقيق ، لا يتم بينهما الامتزاج ، ولا يولد منهما الماء !

والمزج بين الروح والجسد ، والمزاوجة بينهما ، يحتاج الى حكمة بالغة ، والى تقدير حكيم ، لا في نسبته : وانما في الغاية التي يقصد اليها

منه .. إذ لا مقياس محدد هنـا ، يمكن ان يضبط به الانسان الكمية اللازمة من الجسد ، والكمية المطلوبة من الروح ، كي يتم المزج السليم بينهما .. ولو كان هناك مقياس مادي محدد ، لما احتاج إليه الأمر ، بين الروح والجسد ، اذ الحقيقة انه لا روح الا بجسد ، وانما هما كيـان واحد ، مزجتهما القدرة الالهيـة ، وزاوجت بينهما ، وأخرجتهمـا على الصحة والسلامة ، كما يخرج الماء من عنصريه : (**فطرة الله التي فطر الناس عليها**) الروم/ ٣٠ ولـكن مداخـل الهـوى ، ووسـاوس الشيطان ، هي التـي تبـذر بذور العداوة بين الروح والجسد ، وتوقد نار الحرب بينهما ، فيقتل احدهما الآخر ، كما وقع ذلك بين الأخوين ابني آدم !! والله تعالى يقول : (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**) التين/ ٤ ـ ٦ .

ـ ٦ ـ

فالذي يطلـب من الانسـان ـ في الحقيقـة ـ ليس هو المزج او المزاوجة ، بين جسده وروحه ، وانما هو المحافظـة على هذا الكيـان الانسانـي ، روحـا وجسـدا ، وحراسته من الآفات العارضة ، التي تغير طبيعته ، وتفسده ، كما يتغير الماء ويفسد ، إذا عرض له عارض ، يحوله من حال الى حال .. فقد تحوله الحرارة إلى بخار وهواء ، وقد يحيله البرد الى ثلج وجمد ، وقد يقف فيركد ويتعطـن ، وقـد يجـري محتـكا بالأحجار والتراب ، فيعكر ، ويتغير لونه وطعمه !!

المطلوب من الانسان اذن ، هو ان يكون حارسـا أمينـا على كيانـه الانساني ، وفطرته السليمة التي ولد عليها ، وان يتفقد دائما طبيعته ، فان وجد ان هذا الكيان هو مجرد جسد ، يطلب ، ويشتهي ، ولا يكف عن الطلب والاشتهاء ، او هو مجرد روح يتعـالى وينقطـع عن الطلـب والشهوة ، عرف انه ليس انسانا على الصحة والسلامة ..

فالانسان السوى ، هو الذي يجد في كيانه ، جسدا يطلـب ويشتهـي ، وروحا تكفكف من غرب هذا الطلب وذاك الاشتهاء .

وان شر الناس ، واشقاهم ، من كان له جسد معربد ، شارد ، لا زمام له ، ولا راعي يقوم عليه ، ولا حاجـز يحجزه عن حرام ، وانه لا خلاص له من هذا البلاء ، إلا اذا بحث عن روحه ، وهتف بها ، وايقظ لها كل قواه ، لتمسـك بهـذا الحيـوان الشارد ، قبل ان يقع فريسة للذئاب .

وان اخف الناس وزنـا ، واقلهـم قدرا ، من امرض جسده بالرياضات العنيفة ، والحرمان المتصل ، حتى افسده ، وقتل دواعي الشهوة فيه ، واذا هو لا جسد ، ولا روح .. لأن الروح اذا لم يكن لها جسد تسكن اليه ، شردت ، وضلت .. وانه لا دواء له من هذا الداء ، الا ان يحسن سياسة جسده ، ويمده بما يمسك

عليه الحياة ، ويسبغ عليه من نعم الله ، ما يحرك لسانه بالحمد والشكر ، لله رب العالمين .

— ٧ —

وقد يظن بعض الناس انه لا سبيل الى التوفيق بين مطالب الجسد ، وأشواق الروح ، اذ يبدو له ان ما يرضى أحد الطرفين ، فيه جور على الطرف الآخر ، وان في اشباع حاجات الجسد ، انتقاصا من حق الروح ، كما ان في اشباع اشواق الروح ، جورا على الجسد !

والأمر وان بدا في صورته الظاهرة ، على هذا التصور فانه في واقعه على غير هذا الفهم الخاطىء ، اذ ليس الجسد والروح عدوين ، ولا متخاصمين ، وانما هما كيان واحد ، وفي سلامة احدهما سلامة الآخر ، وفي العدوان على احدهما عدوان على صاحبه ... وغاية ما في الأمر ، ان اهمال احدهما ، والالتفات الى الآخر وحده ، هو الذي يفسد العلاقة بينهما ، ويفضي الى الاختلال الذي يؤدي الى العداوة بينهما .

وانك لا ترى مثل هذا في الأشياء المختلفة طبيعة وتركيبا ، وحسب ، بل تراه في الأشياء ذات الطبيعة الواحدة .. فأنت إذا اعتدت ان تفتح احدى عينيك لرؤية الأشياء ، على حين انك تذر الأخرى وتغمضها ، فان ذلك ينتهي آخر الأمر الى ان تظل العين الاولى سليمة ، تزداد على الايام قوة ، على حين تتناقص قوة الابصار في الاخرى شيئا فشيئا ، حتى ينطفىء نورها تماما .

يقول الفيلسوف : « والتر ليبمان » مصورا هذا الاختلال الذي يفسد طبيعة الانسان ، اذا هو مال الى احد جانبيه ، الجسدي ، او الروحي .. يقول هذا الفيلسوف الغربي المعاصر :

« هناك اصحاب مذهب اللذة الذين ينسحبون بكليتهم الى داخل مملكة الوجود ، ليأكلوا ، ويشربوا ويمرحوا ، بعيدا عن الآلام والاشجان التي تصاحب الحنين الى حياة الخلود ..

« وهناك المتقشفون الذين يؤثرون الانسحاب من مملكة الوجود ، في انتظار نهاية العالم ، والخلاص من دنيا الفناء »

ثم يعقب الفيلسوف على هذا بقوله :

« ويرجع الخطأ عند الفريقين الى مصدر اساسي ، وهو نكران ان المملكتين لا يمكن المزج بينهما ، كما لا يمكن الفصل بينهما ، على حين ان الحق هو انه يمكن ايجاد توازن وتصالح بينهما » .

— ٨ —

وفي شريعة الاسلام ، وفي أحكامها الحكيمة ، المنزلة من حكيم عليم ، يجد الانسان ما عجز عنه العلماء ، والحكماء والفلاسفة والمصلحون من تقرير المصالحة بين الجسد والروح ، بما يحفظ على الانسان وجوده الانساني الكريم الذي يضع قدميه

على الأرض ، ويرتفع بهامته الى السماء ، فهو ابن الملكتين : جسده من الأرض ، وروحه من الملأ الأعلى ، وعلى الأرض مبتداه ، وفي الملأ الاعلى منتهاه !

فكانت شريعة الاسلام وسطا ، تعطى ما للجسد للجسد ، وما للروح للروح ، فليس في الاسلام ولا في المسلمين ، من تستولى عليهم المادة ، وتأسرهم شهوات الجسد ، فهؤلاء في حساب الاسلام من عالم الحيوان : **(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)** الفرقان / ٤٤ .

وليس في الاسلام ، ولا في المسلمين ، اولئك الأشباح ، الذين خرجوا من الطبيعة الانسانية ، وأرادوا ان يطيروا باجنحة الملائكة ، فكانوا اشبه بالغراب ، الذي استهواه الطاووس ، فلبس ريشه ، فلم يكن غرابا ولم يصبح طاووسا ، بل هو مسخ لحيوان لم تعرفه الحيوانات !

لقد دعا الاسلام الى الاخذ من كل ما في الحياة من طيبات ، ولكن في غير اسراف ، مفسد للصحة ، والخلق .. يقول الله تعالى : **(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين•قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** الاعراف / ٣١و٣٢ .

ومن يستمتع بطيبات الرزق ان لم يستمتع بها المؤمنون بالله ، القائمون على خلافة الارض ؟ الم يقل سبحانه : **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)** النور / ٥٥ وهل تقوم خلافة في الارض بغير تمكن منها ، واستخلاص لكل ما فيها من خير ، حتى تكون القوة التي تحوط الخلافة وتحفظها ؟

ـ ٩ ـ

وننظر في عالمنا الاسلامي اليوم ، فاذا اهله فريقان :

فريق : وهو الكثرة الغالبة ، قد جذبته الدنيا اليها ، والبسته ثوبها ، فوق او تحت ، ثوب مهلهل ممزق من الدين .

وفريق آخر : هو الذي يراه ، الناس في فرق المتصوفة ، وطرقها ، التي تعج بتلك الاخلاط الغريبة من الناس ، في ازيائها ، وشاراتها ، وطقوس عباداتها واذكارها ، قد خلت ايديهم من ثمرات الاعمال التي يجدها العاملون في ايديهم ، الا من السبح الطويلة ، المدلاة من الايدي ، او المعلقة في الصدور !!

وقلة قليلة بين هؤلاء واولئك هم الذين استقاموا على الطريق الوسط ...

ومن هؤلاء يرجى الخير للاسلام ، لو انهم ندبوا انفسهم ونذروها لهداية الضالين الذين نأت بهم غربة بعيدة عن الاسلام ... نسأل الله تعالى ان يرد غربتهم ، ويهديهم صراطا مستقيما .



للأستاذ : محمد عزة دروزة

أولا : في العهد المكي النبوي :

— ١ —

لم يكن معركة بين النبوة وأهل الكتاب في هذا العهد . فلم يكن في مكة كتلة كتابية ذات عدد كبير ومركز سياسي واقتصادي ومصالح متشعبة . وإنما كان فيها أفراد من النصارى واليهود . والاولون كانوا أشتاتا منهم الأقباط المصريون ، ومنهم الأحباش ، ومنهم الروم ومنهم السوريون ، ومن هؤلاء من كان مملوكا لبعض زعماء مكة وأغنيائها يعملون لحسابهم . ومنهم من كانوا أحرارا لاجئين يعملون في الحدادة والنجارة . أما اليهود فكانوا مرابين يتسربون الى مكة من يثرب (المدينة المنورة) وضواحيها حيث كان هناك كتل كبيرة منهم صار لها مع الزمن صلات متشعبة مع العرب وصار لها مزارع وحقوق ، وبساتين وتجارة الخ . وكان الى هذا وذاك بعض أفراد من العرب المتنصرين من أشهرهم ورقة بن نوفل ابن عم خديجة رضي الله عنها أولى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يروي أنه الذي تولى تزويجها لرسول الله .

— ٢ —

ومن المحتمل أن يكون النبي صلى الله

عليه وسلم بعد أن غدا صهره صار يتردد عليه ويسمع منه وهو ما يزال في شبابه . وهناك حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في أولية الوحي فيه ذكر لورقة وموقف له حيث جاء فيه بعد أن ذكر نزول جبريل عليه بالآيـات الخمس الأولى من سورة العلق (فرجع بها النبي صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعـدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . وأنطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العبرانـي . فيكتـب من الانجيـل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟؟ فأخبره رسول الله بخبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى . يا ليتني فيها جذعا . ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله أو مخرجي هم ؟؟؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي . وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى) .

— ٣ —

وكان بين أفراد النصارى الأجانب من هو ذو علم واطلاع . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتردد عليهم قبل بعثته . وكان رجال مكة يرون ذلك حتى إن صناديدهم الذيـن تولـوا مناوأة الرسالة استغلوا ذلك فأخذوا يقولون إنهم يعلمونه ويعاونونه في ما يفترى من قرآن كما جاء في هذه الآيات التي فيها تأييد للصلة بينه وبينهم بقطع النظر عن كذب دعوى المدعين .

١ ـ (**ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحـدون اليه أعجمي وهذا لسان عربـي مبين**) سورة النحل ١٠٣ .

٢ ـ (**وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا . وقالـوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا**) سورة الفرقان ٤/و٥ .

٣ ـ (**أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنـون**) . سورة الدخـان ١٣/١٤ .

— ٤ —

وأولى آيات قرآنية مكية ذكر فيها أهل الكتاب والله أعلم هذه الآية في سورة المدثر التي هي في ترتيب نزول السور المروي الثالثة أو الرابعة : (**وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذيـن أوتـوا الكتـاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب**

الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) المدثر/٣١ .

والأسلوب الذي ذكروا فيه يفيد ــ والله أعلم ــ أن الله سبحانه يعلم أن الذين أوتوا الكتاب يعرفون مدى ما جاء في الآية وأن ذكره سوف يكون سببا لاستيقانهم بأن القرآن منزل من الله تعالى على نبيه .

وفي سورة سبأ هذه الآية التي تفيد ــ والله أعلم ــ نفس المعنى (**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد**) سبأ/٦ .

ومثل هذا في آية في سورة الحج التي نرجح انها مكية هي هذه (**وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم**) الحج/٥٤ .

ــ ٥ ــ

والمتبادر أن النبي صلى الله عليه وسلم اخبر من كان يتردد عليهم من أهل الكتاب بأمره وقرأ عليهم ما أنزله الله سبحانه اليه .

ومن المتبادر كذلك أنهم كانوا لمحوا فيه عمق الايمان بالله ، وشدة العزوف عن عقائد وتقاليد قومه ، وشدة الرغبة في ملة ابراهيم الحنيفية السمحاء التي أمره الله باتباعها واعلانها في آيات سورة الأنعام هذه : (**قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين**) الأنعام/١٦٣ .

وفي آية سورة النحل هذه (**ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين**) النحل/١٢٣ .

كما لمحوا فيه صفاء الذهن وعظمة الخلق والصدق والبعد عن التبجح .

وكانوا يرون في التوراة والانجيل صفات نبي يبعث من الأميين وكلمة الأميين كانت تعني العرب على ما تلهم آية سورة الجمعة هذه : (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) الجمعة/٢

ويوحيان ــ التوراة والانجيل ــ عليهم اتباعه حينما يبعث على ما جاء في آية سورة الأعراف هذه : (**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**) الأعراف/١٥٧ .

فكان موقفهم بسبب ذلك منه إيجابيا جدا عبرت عنه آيات عديدة في السور المكية تعبيرا قويا كما ترى في هذه

الآيات :

١ ـ **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** الأنعام /٢٠

٢ ـ **(افغير الله ابتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)** الأنعام / ١١٤ .

٣ـ آية سورة الأعراف التي أوردناها آنفا .

وهذه الآيات كانت تتلى على ملأ من أهل الكتاب في مكة وغيرهم . وهي تؤكد ان صفات رسول الله مذكورة في التوراة والانجيل ، وأن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ويعترفون بأن القرآن منزل من الله ، وقد اتبعوه وآمنوا به وعزروه ونصروه لمطابقة صفاته على ما في التوراة والانجيل . ولا يمكن أن يكون ذلك ـ ونقول هذا للمساجلة ـ إلا حقا وصدقا كل الحق والصدق .

٤ ـ **(فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)** يونس /٩٤

وبعض المفسرين يقولون إن الكلام موجه للسامعين . وبعضهم يقولون ان الآية للتثبت والتطمين وليست لازالة التردد والمراء في نفس النبي لأنه لم يكن فيها شيء من ذلك . وعلى كل حال فان فيها امرا للنبي أو للسامعين بالاستشهاد بأهل الكتاب على صدق كون ما ينزل على رسول الله من قرآن هو وحي ورباني . وقد سجلت آية سورة الأنعام المذكورة في الرقم (٢) اعترافهم بذلك فتكون الآية للاستشهاد بهم مع اليقين بأن شهادتهم ستكون إيجابية ، وسورة الانعام سابقة في النزول لسورة يونس .

٥ ـ **(والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك)** سورة الرعد /٣٦ .

وهذا يعني أنهم رحبوا بالنبوة المحمدية والقرآن وانضووا اليهما .

٦ ـ **(ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)** سورة الرعد /٤٣ .

وفي الآية استشهاد بالاضافة الى إشهاد الله بالذين عندهم علم الكتاب . ولا يكون هذا الا باليقين بأنهم سيشهدون بصدق رسالة الرسول وقد آمنوا بها .

٧ ـ **(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** سورة النحل /٤٣ .

والخطاب موجه للمشركين الذين كانوا ينكرون ويستنكرون أن الله يمكن أن يبعث رسولا من البشر على ما حكته بعض الآيات ومنها آية سورة الاسراء هذه : **(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا)** /٩٤ وطلبت منهم الآية أن يسألوا أهل الكتاب والذكر في القرآن يعني في بعض مقاماته (الكتاب) مع اليقين بأنهم سوف يشهدون أن رسالة الرسول حق

وصدق وقد آمنوا بها ...
٨ ـ **(قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)** .سورة الاسراء/١٠٧ ـ ١٠٩ .

وفي الآية مشهد إيماني رائع لأولى العلم بالقرآن وبالرسالة المحمدية . وفيها تحد قوى للمشركين .
٩ ـ **(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . اولئك يؤتون أجرهم مرتين بماصبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين)** سورة القصص / ٥٢ ـ ٥٥ .
والمتبادر أن الآية الأخيرة نزلت بسبب لوم زعماء المشركين للكتابيين وتوبيخهم لهم لايمانهم بالقرآن ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم حيث انطوى فيها رد عليهم بأنهم غير عابئين باللغو الذي يسمعونه وغير آبهين بالجاهلين .
ولقد روى بعض المفسرين بدون توثيق أن هذه الآيات مدنية . والآيات من سلسلة منسجمة في سورة مكية . والآية الأخيرة دليل حاسم على مكيتها . لأن توبيخ المؤمنين بالقرآن والرسالة المحمدية لا يكون الا في مكة ولا يمكن أن يكون في العهد المدني الذي كان السلطان فيه للنبي والاسلام .
١٠ ـ **(وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)** سورة العنكبوت /٤٧ .
١١ ـ **(قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)** الاحقاف/١٠ .
والخطاب في أول الآية للمشركين . وفيها تحد مشابه للتحدي في آيات الاسراء . فالشاهد الاسرائيلي العالم بالكتاب قد شهد بصدق القرآن والرسالة المحمدية وآمن . وإن كفرهم به لا تأثير له في الجوهر .

ـ ٦ ـ

والآيات تمثل مختلف أدوار التنزيل القرآني المكي . ولو كان من فرد أو اكثر من الكتابيين موقف سلبي تجاه القرآن والنبوة المحمدية لما تحرج القرآن المكي عن ذكره كما كان شأنه في إيراد كل ما صدر من المشركين والكفار في العهد المكي والعهد المدني معا من أقوال حتى ما كان منها سفيها فيه نسبة الكذب والافتراء ، والسحر والكهانة ، والشعر والاتصال بالجن والشياطين الخ ... مما هو مثبوت في السور المكية .

وفي هذا مصداق لما قلناه انه لم يكن في العهد المكي معركة بين أهل الكتاب والنبوة . حيث كان موقفهم إيجابيا كل الايجابية ، اندماجيا كل الاندماج ، تصديقيا كل التصديق ، غير عابيء بما يسمعون من تثريب أو يتعرضون له من أذى .

وهي شهادة عيانية عظمى للقرآن والنبوة ، وعلى صدق اعلام النبوة والقرآن وشمول رسالة الرسول وهدايته للناس جميعا كتابيين وغير كتابيين ، وعرب وغير عرب في ظرف كان النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته عرضة لأشد مواقف المناوأة والأذى . وكان المسلمون قليلين مستضعفين حتى لقد اضطروا الى ترك وطنهم الى الحبشة أولا ثم الى المدينة المنورة أخيرا . وكل موقف سلبي من الكتابيين خاصة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته والى يومنا هذا والى آخر الدهر بعد هذه الشهادة العيانية الرائعة من أولى العلم والكتاب هو باطل داحض . ومكابرة تدفع اليهما المنافع والمصالح والأنانية والانحرافات وسوء النية وعدم الاذعان للحق والصدق .

— ٧ —

ولقد كان عالم الجن مما يشغل جزءا كبيرا في أذهان البشر على اختلاف أجناسهم وأقطارهم وأديانهم ومن الجملة أذهان أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد ردد القرآن ذلك كثيرا . وكان من العرب من يعوذون بالجن ويتعبدون لهم تفاديا من اذاهم وشرهم ، وكان لهم في أذهانهم صورة من القوة والقدرة على الأعمال الخارقة من صعود الى السماء ، وتسمع أخبارها ، وغوص في البحار ، وبناء جسم المدن والمنشآت ، واحتلال أجساد البشر وصرعهم ، والوسوسة لهم وإيذائهم أشد الأذى ، وإغوائهم واستهوائهم وخطفهم . كما كان الناس والعرب منهم يعتقدون انهم كانوا أمما مختلفة . وعلى أديان ونحل وطرائق متنوعة مما أشارت اليه آيات قرآنية مكية كثيرة لا يتسع المقال لايراد نصوصها ويستطيع القارىء أن يقرأها من المصحف ونكتفي بايراد ارقامها وسورها كما يلي : (الأنعام : ٧٠ و١٠٠ و١١٢ و١٢٨ ــ ١٣١ ــ والأعراف ٢٧ و٣٨ والحجر ١٧ و١٨ و٢٦ و٢٨ والاسراء ٦١ ــ ٦٤ والكهف ٥٠ ــ ٥١ والأنبياء ٨١ ــ ٨٢ وسبأ ١٢ ــ ١٤ و٤٠ ــ ٤١ ــ والصافات ٦ ــ ١٠ و١٥٨ ــ ١٥٩ وص ٣٤ ــ ٣٨ و٤١ والرحمن ١٤ ــ ١٥ و٣١ ــ ٣٦ والجن ١ ــ ١٥) . فاقتضت حكمة التنزيل أن يوحي الى النبي بآيات سورة الجن هذه : **(قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد ربنا ماتخذ صاحبة ولا ولدا)** الجن /١ــ٣ وبآيات سورة الأحقاف هذه : **(وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه**

قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين .قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) الاحقاف/ ٢٩ ــ ٣١ .

وتفيد الآية الثالثة من آيات الجن والله أعلم أن الجن الذين يحكي عنهم ما جاء في الآيات هم على النصرانية المعتقدين ببنوة المسيح لله وكون الله قد نفخ من روحه في فرج أمه فولدته له فصارت بمثابة صاحبة له . كما تفيد آيات الأحقاف أن الذين تحكي قولهم هم على الديانة الموسوية والتوراة .

وتبدو خلال ذلك حكمة التنزيل بايذان سامعي القرآن وبخاصة المشركين أن دعوة النبي قد شملت الانس والجن معا ، وأنه كما استجاب لها من كان في مكة من أهل الكتاب من يهود ونصارى استجاب اليها وآمن بها يهود من الجن ونصارى من الجن ايضا الذين لهم في أذهان السامعين ما لهم من صورة ضخمة .

ونقف عند حد ما جاء القرآن الذي هو من المتشابهات بدون تزيد ولا تكلف ونستشف منه الحكمة التي نرجو أن تكون هي ما ذكرناه . ونقول آمنا به كل من عند ربنا .

— ٨ —

وفي سورة العنكبوت والشورى المكيتين آيات قد تبدو في ظاهرها مناقضة لما نقول من أنه لم يكن للكتابيين موقف سلبي في العهد المكي . غير أن التروى فيها يزيل الاشكال . ففي السورة الأولى هذه الآيات (**اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون . ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين أتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)** العنكبوت/ ٤٥ ــ ٤٧ .

والآية الثانية هي التي نقصد . وقد احتوت أمرا بصيغة الجمع بعدم مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وأمرا بنفس الصيغة بقوله لهم ما جاء في الآية . وقد يفيد هذا ظاهرا أن من أهل الكتاب من جادل وبالتالي من لم يؤمن . غير أن الامعان في الآيات الثلاث يفيد شيئا آخر هو المتفق مع ما جاء في القرآن المكي من تسجيل إيمان الكتابيين جميعا في الآية الأولى بصيغة المفرد وفيه خطاب للنبي .

والآية الثالثة كذلك . ويتبادر لنا ما دامت الآية الثالثة تسجل إيمان أهل الكتاب بدون استثناء أن الآية الثانية موجهة الى النبي والمسلمين معا كخطة ربانية تجاه أهل الكتاب عامة دون أن يكون فيها صراحة قطعية بأن ما

حكته كان واقعا من أهل الكتاب ومن المسلمين .

ونأتي الآن الى آيات سورة الشورى وهي : (**شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير**) الشورى/ ١٣ ــ ١٥ .

والآية الأولى عامة ... وفي الثانية اشارة الى تفرق الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم تقريرا لواقعهم الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ممتدا الى ما قبله في مختلف الأنحاء التي هم فيها . ثم خطة موجهة للنبي والمسلمين مماثلة للخطة التي في الآية الثانية من سورة العنكبوت . وليس فيها شيء صريح أو ضمني يفيد وقوف فريق من الكتابيين في مكة موقفا سلبيا من الرسالة المحمدية والقرآن ، ثم فيها أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالاستمرار في دعوته ، والاستقامة عليها ، وعدم اتباع أهواء المتفرقين بصورة عامة كخطة للنبي صلى الله عليه وسلم . وتفرق أهل الكتاب بغيا بينهم أشير إليه في آيات مكية أخرى منها آية سورة الجاثية هذه : (**فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**) الجاثية/ ١٧ و ١٨ وآية سورة النمل هذه : (**إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**) النمل/ ٧٦ وآية يونس هذه : (**فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**) يونس/ ٩٣ .

ــ ٩ ــ

وليس هناك أي رواية تذكر أن أحدا من الكتابيين كان موجودا في مكة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة الى المدينة أو حينما تم فتح مكة فيصح تقرير كون كل الكتابيين في مكة قد استجابوا للدعوة واندمجوا فيها ، ومنهم من تعرض في سبيل ذلك للأذى الشديد مما ذكرته الروايات صحيحا صادقا كل الصحة والصدق . ويلفت النظر الى ما في الآيات من جمع شامل : (**الذين آتيناهم الكتاب**) و (**الذين أوتوا العلم**) حيث يكون فيها دلالة أيضا على كون الاستجابة كانت تامة بدون اي استثناء والحمد لله رب العالمين .

الحياد

سمة التشريع الجنائي الاسلامي

للدكتور : احمد علي المجدوب

للتشريع الجنائي الاسلامي سمات كثيرة يتميز بها على القوانين الجنائية الوضعية ، إلا أن الحياد يعد أهم هذه السمات . خاصة بعدما تبين أخيرا من الدراسات التي أجريت والمناقشات التي ثارت في الندوات والمؤتمرات وقاعات البحث ، ان الموضوعات التي كانت تعد في الماضي ذات أهمية قصوى ، مثل مبدأ المساواة أمام القانون ، ومبدأ شرعية الجرائم والعقوبات ، ومبدأ عدم رجعية القوانين الجنائية وغيرها من المبادئ التي كانت تستحوذ على اهتمام الفقهاء ورجال القانون والقضاء ، بل وعلماء الاجتماع والسياسة وغيرهم ، لا أهمية لها بالمرة طالما أن القانون يفتقر الى الحياد ، فبدون حياد حقيقي يعجز القانون عن بلوغ هدفين أساسيين من الأهداف التي وضع من أجلها وهذين الهدفين هما : العدالة والمساواة ، حتى مع النص فيه على المبادئ التي أشرنا إليها .

وعلى الرغم من أن مشكلة حياد القانون الجنائي ليست جديدة ، وانما هي مشكلة قديمة قدم القانون الوضعي ذاته ، إلا أنها لم تظهر إلا في وقت متأخر بالقياس إلى الوقت الذي ظهرت فيه مشكلات أخرى أقل أهمية بكثير من مشكلة الحياد . ولعل ذلك يرجع إلى مسألة ترتيب الأولويات ففي أول الأمر كان اهتمام رجال التشريع والفقهاء ورجال القانون والمفكرين منصرفا إلى صياغة المبادئ الفلسفية التي تتكلم عن الحرية والعدالة والمساواة والتي سبق أن نادى بها الفلاسفة أمثال روسو ، ومونتسكيو ، وفولتير ، وغيرهم ، في نصوص تتضمنها القوانين الوضعية .

وبطبيعة الحال فقد رحب الناس على اختلاف مذاهبهم بهذا الاتجاه ، وأيدوه باخلاص اعتقادا منهم أنه إيذان بانقضاء عهد كان الظلم فيه هو القاعدة ، والعدل هو الاستثناء . فالقوى سواء أكانت قوته تكمن في ماله ، أم في جاهه ، أم في سلطانه دائما على حق ، ولذلك فان العدالة ممثلة في القانون تقف في صفه ضد

الضعيف سواء أكان ضعفه يكمن في فقره أم يرجع الى افتقاره الى الجاه أم بعده عن السلطان . وهكذا انعدمت المساواة أمام القانون ، فالضعيف هو وحده الذي يخضع له دون القوي مما جعل المساواة تنحصر في إطار خضوع الأغلبية الضعيفة للقانون وعدم خضوع الأقلية القوية له .

وكان أهم ما يشكو منه الناس هو عدم وجود قانون ثابت ومحدد ومعروف للكافة ، يحدد لهم سلفا ما يعد جريمة ، وما لا يعد كذلك . فقد كان الحكام يعاقبون على الأفعال دون ان يكون هناك قانون سابق يجرمها .

كذلك كانوا يصدرون القانون اليوم ليطبق على أفعال وقعت بالأمس ، كما كانت القوانين تصدر وتطبق دون أن يتم إعلام الناس بصدورها ، فكانوا يفاجأون بها تطبق عليهم .

لذلك فانه لما تمخضت دعوات المفكرين والفلاسفة والفقهاء عن وضع القوانين التي تنص على المبادئ المشار إليها قوبل ذلك بالترحيب والتأييد والسرور البالغ الناشئ عن إحساس الناس بأنهم لن يؤخذوا على غرة ، بعد أن التزم الحكام بمبدأ عدم تجريم فعل أو العقاب عليه إلا إذا كان هناك قانون سابق يقضي بذلك ، وهو ما يسمى بمبدأ شرعية الجرائم والعقوبات . وعدم تطبيق القوانين التي تجرم فعلا على فعل مماثل وقع قبل صدورها وهو ما يسمى بمبدأ عدم رجعية القوانين وهكذا .

ومع ذلك فان هذه المبادئ التي توصلت إليها عقول المفكرين ، وصاغها الفقهاء والمتشرعون في نصوص قانونية لم تكن بالشئ الجديد ، فقد سبقت إليها الشريعة الاسلامية بالآيات التي نصت على أنه لا يعاقب على أفعال قبل صدور القوانين التي تحرمها واعلام الناس بها بواسطة الرسل : **(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء/١٥ . **(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا)** القصص/٥٩ وقوله تعالى : **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)** النساء/١٦٥ . ولا يعاقب على الأفعال التي وقعت في وقت سابق على التجريم : **(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)** البقرة/١٣٤ وغير ذلك من المبادئ التي جاءت بها الشريعة الاسلامية ولم تعرفها القوانين الوضعية إلا أخيرا ، مثل مبدأ شخصية العقوبة ، ومبدأ « الشك يفسر لصالح المتهم » ، ومبدأ الضرورات تبيح المحظورات « حالة الضرورة » إلا أنه لم تكد تنقضي فترة زمنية قصيرة على صدور القوانين الوضعية متضمنة المبادئ المشار إليها ، حتى بدأ الناس وبالذات علماء القانون والاجتماع والسياسة والاقتصاد يدركون أن تلك المبادئ ليست كل شئ ، بل أدركوا بالأحرى أنها ليست شيئا بالمرة بدون المبدأ الأهم والأخطر ألا وهو حياد القانون ، أى عدم تحيزه لفئة أو

طبقة ، او جماعة في المجتمع . لأنه بدون هذا الحياد بين الفئات والطبقات والجماعات يصبح القانون غير عادل ، ويفتقر إلى المساواة ، حيث يقدم مصلحة فئة أو طبقة أو جماعة على مصلحة المجتمع كله .
وعندئذ ظهرت مشكلة أخرى مختلفة تماما . هذه المشكلة هي : من الذي يضع القوانين ؟ هل هي السلطة التنفيذية . أو السلطة القضائية ؟. وكيف نضمن أن تراعى إحداهما مصالح المجتمع ؟ أو أنه يجب أن توكل مهمة وضع القوانين إلى سلطة تختص بوضع التشريع ، وبالتالي تسمى السلطة التشريعية ، يتم اختيار أعضائها بطريقة تكفل تمثيلهم لفئات الشعب المختلفة ، وتراعى عند وضعها للقوانين توفير الحماية بقدر يتناسب مع أهمية كل فئة ومصالحها مع الأخذ بعين الاعتبار المصلحة العامة للمجتمع .
وهو ما أدى إلى إثارة مشكلات أخرى شديدة التعقيد تتعلق بكيفية اختيار أو انتخاب أعضاء السلطة التشريعية . وما هو السبيل إلى كفالة تمثيلهم للفئات المختلفة بحسب نسبة كل منها إلى إجمالي المجتمع . وما هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم . وما علاقتهم بالسلطتين الأخريين ، أى التنفيذية والقضائية ؟.
وعلى الرغم من كل ما بذله علماء القانون وفقهاؤه من وقت وجهد في وضع النظريات ، وصياغة المبادئ ! وتقعيد القواعد التي تنظم الأوضاع المشار إليها ، وتكفل في النهاية قيام السلطة التشريعية بوظيفتها على خير وجه ، بحيث تصدر قوانين مستوفية لشرط الحياد . إلا أن ذلك لم يتحقق بأى شكل من الأشكال . بل لعل تحيز القوانين أصبح هو القاعدة وحيادها هو الاستثناء . واذا كانت هناك حقيقة يتفق بشأنها العلماء في الشرق والغرب على السواء ، فهي التي تتعلق بتحيز القوانين مع اختلاف في المبررات . فالماركسيون وإن كانوا يعترفون بأن القانون المطبق في الدول الشيوعية هو قانون الطبقة « البروليتاريا » . الا أنهم يبررون ذلك بأنه من مقتضيات المرحلة لا أكثر ، وانه عندما تستقر الأوضاع بانتصار الماركسية في العالم أجمع فسوف تزول قوانين الطبقة ، بل القوانين كلها ، لأن الناس سيتخلصون من الحاجة إلى قوانين تنظم العلاقات فيما بينهم ، حيث سيسود الرغد وتتوفر السلع ، إلى درجة تقضي على أى فرصة لوجود الصراع أو قيام المنافسة من أجل المسكن أو المأكل أو الملبس أو الجنس .
وهو كما نرى زعم نظري خيالي يفنده الواقع العملي والتجربة الفعلية فضلا عن ضعفه الشديد الذي يجعله يتهاوى أمام أى نقد علمي موضوعي سليم .
في حين أن كثيرين بين علماء الغرب ومفكريه ، ولا نقول كلهم ، يعترفون ، بل ويرددون اعترافهم في كل ما يكتبونه بأن القوانين المطبقة في المجتمعات الغربية ليست محايدة بأي

حال من الأحوال ، بل هي متحيزة لفئة من الناس تتكون من محترفي السياسة ورجال الاقتصاد والمال ومن يدور في فلكهم ممن ترتبط مصالحهم بمصالحهم ولا نقصد بالقوانين المتحيزة قوانين الاقتصاد والمال والتجارة وغيرها بل نقصد بها القوانين الجزائية أو قوانين العقوبات أى القوانين التي تحدد الأفعال المعاقب عليها والجزاءات التي توقع على من يرتكبون هذه الأفعال . فالسلطة التشريعية الخاضعة لنفوذ تلك الفئة تصدر تشريعات تجرم فيها أفعالا لا يعد تجريمها متعارضا مع مصالح الفئة المسيطرة ، بينما تدع أفعالا أخرى مباحة على الرغم مما تنطوي عليه من أخطار أو يترتب عليها من أضرار تصيب المجتمع لأن إباحتها تتفق مع مصلحة هذه الفئة . فبيع الأسلحة النارية وحيازتها لا يعد عملا غير مشروع ولا يخضع لأي ضوابط على الرغم مما يترتب عليه من ارتفاع مستمر في معدلات جرائم القتل والجرح والسطو المسلح وغيرها . لأن أصحاب مصانع السلاح وتجار الأسلحة يرون أن فرض قيود على بيع الأسلحة وحيازتها فيه إضرار بمصالحهم فيجب ألا يصدر قانون ينظم هذه الأمور حتى ولو كان نلك يتعارض مع أمن المجتمع واستقراره .

وكذلك بالنسبة للبغاء والشذوذ الجنسي وأفلام الجنس وكتبه ومجلاته وأنديته فهي جميعا تعد مصدرا خياليا لأرباح تفوق الوصف لفئة من الناس ، فهم يجندون الكتاب ويشترون بعض المفكرين بمئات الألوف من الدولارات والجنيهات الاسترلينية لكي يكتبوا عن حرية الفرد في أن يفعل ما يشاء بجسمه طالما أنه لا يسيء إلى غيره ويسوقون مبررات أبعد ما تكون عن العقل والمنطق لاقناع الناس بأن حرية الفرد يجب أن تكون مطلقة لا ترد عليها أي قيود لصالح المجتمع . وهكذا أباحوا الشذوذ الجنسي والعلاقات الجنسية واعترفوا للشواذ بالحق في المجاهرة بشذوذهم والاعلان عنه في مجلات وكتب وأفلام ومسرحيات تعود أرباحها إلى تلك الفئة التي تتدخل في عملية التشريع فتفقد القانون حياده .

وما قيل عن الجنس يصدق على المخدرات التي استشرى تعاطيها في المجتمع الغربي وخاصة في محيط الشباب ولكن كلما حاولت الأصوات المخلصة أن ترتفع محذرة ومنذرة باغتتها الأصوات المأجورة مدوية تندد بها لتدخلها في حرية الفرد واستقلاليته وهو ما لا يجوز للمجتمع أن يفعله .

ويقول الباحث الأمريكي جوزيف جارفيليد : إنه حين يكون المنحرفون جماعة صغيرة تفتقر إلى القوة السياسية ، فانها لا تستطيع أن تحمي نفسها بواسطة التأثير في عملية التشريع بتوجيهه وجهة معينة ، أما حين يكون نوع من الانحراف متفشيا في جماعة صغيرة ولكنها ذات قوة سياسية ملحوظة فانها تستطيع أن تؤثر في القانون وتوجهه الوجهة التي

تريدها ، تماما مثلما حدث في انجلترا بشأن مشكلة الشذوذ الجنسي ، حيث تبين مما نشرته الصحف أن عددا من أعضاء اللجنة التي شكلت للنظر في عدم تجريمه واضفاء صفة الشرعية على العلاقات الجنسية التي تقوم بين شخصين من نفس الجنس ، كانوا من المصابين بالشذوذ الجنسي (المثلية الجنسية) .

والملاحظ أن مشكلة حياد القانون الجنائي تزداد تعقيدا مع اطراد التقدم الحضاري ، فهي لم تعد كما كانت بالأمس مسألة سلطة تشريعية تتوفر في أعضائها شروط معينة أو تخضع في علاقاتها بالسلطتين الأخريين لضوابط محددة وإنما أصبحت مسألة صيرورة هذه السلطة هدفا سهلا لمجموعة من المؤثرات التي يراد بها جميعا تجريد السلطة التشريعية من حيادها ودفعها إلى التحيز إلى هذه الفئة او إلى تلك باستخدام عدد من الأسلحة التي لا يخيب تأثيرها مثل المال والنساء والجاه وفي بعض الأحوال التهديد بالفضيحة إذا استلزم الأمر . من أجل إصدار قوانين تجرم أفعالا قد لا تقتضيها مصلحة الغالبية أو إسقاط صفة التجريم عن أفعال فيها إضرار بالمجتمع وهو ما جعل بعض علماء الاجرام يقولون : إن تفسير السلوك الاجرامي لا يجب أن يعتمد على الفروق الفردية بين الأفراد سواء أكانت فروقا تكوينية أم مكتسبة نظرا لأن الجريمة أصبحت ظاهرة سياسية وفقا لها يوصف بعض السلوك بأنه إجرامي وبعض الناس بأنهم « مجرمون » أو « منحرفون » أو « مرضى » ويقول وليم شمبليس : « إن دراسة الجريمة أصبحت ببساطة لا تهتم بالاختلافات الاجتماعية النفسية بين « المجرمين » و « غير المجرمين » ولكنها أصبحت دراسة نسقية للقانون الجنائي باعتباره نظاما حتى يتم من خلاله عمل القرارات السياسية الأساسية والتي يكون من نتائجها النهائية تعريف بعض السلوك بأنه إجرامي وبعض الناس كمجرمين » ويستطرد قائلا : إن القول بأن الجريمة ظاهرة سياسية يبرز مشكلة الجريمة في صورة جديدة فبدلا من أن يكون السؤال : لماذا يرتكب بعض الناس الجرائم والبعض الآخر لا يرتكبها ؟ يصبح السؤال هو : لماذا توصف بعض الأفعال بأنها إجرامية بينما لا يوصف البعض الآخر كذلك ؟ وبدلا من أن نسأل : لماذا ترتكب الجرائم غالبا في هذا الجزء من المدينة أكثر مما ترتكب في ذلك الجزء ؟ فاننا نسأل : لماذا تقوم الهيئات والمنظمات الموكول إليها بتطبيق القانون باجراء عمليات قبض على الأشخاص « هنا » أكثر مما تجريه « هناك » ؟!

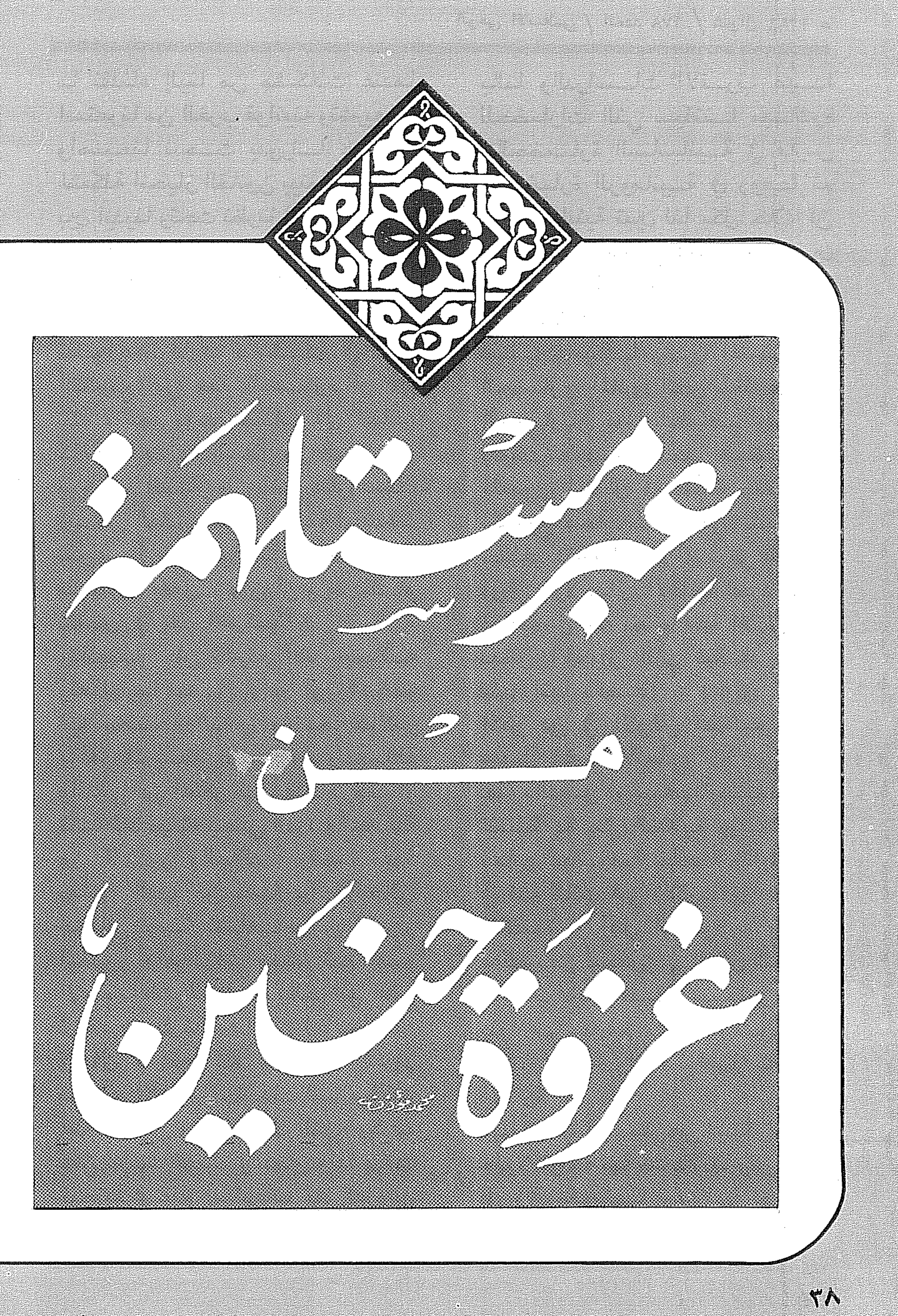
وهكذا وضع هذا الباحث يده على أساس المشكلة وهو افتقار القانون إلى الحياد وانحيازه السافر إلى فئة من المجتمع دون بقية الفئات ، ليس في مرحلة التشريع فحسب ، بل وفي مرحلة التطبيق أيضا .

ولقد انتقلت إلينا هذه المشكلة ضمن

ما نقلناه إلينا من مشكلات عندما استعرنا من الغرب قوانينه وتشريعاته وأصبحنا نبحث بدورنا عن حل لمشكلة انحياز القانون بينما أن الحل بين أيدينا وتحت نظرنا أى في التشريع الاسلامي الذي لا يمكن وصفه بالانحياز لسببين : أولهما : أنه من عند الله سبحانه وتعالى الذي يستحيل تصوره طرفا له مصلحة في كون التشريع على هذه الصورة أو على تلك ، فهو يوجه خطابه إلى الناس كافة فيبين لهم الحلال من الحرام ثم يدع لهم الخيار ولن يضيره أن يسلك زيد من الناس سبيل الطاعة أو يسلك بكر سبيل المعصية فكل محاسب على ما سوف يفعل ، دون أن يزيد ذلك أو ينقص في ملك الله شيئا .

وثانيهما : أن تشريع الله سبحانه وتعالى بما فيه من أوامر أو نواه تبدو فيه مصلحة الناس واضحة فالأمر بالمعروف يحقق الخير للفرد وللجماعة والنهي عن المنكر مهما قلت درجته أو تضاءلت قيمته يحمي الفرد والجماعة من الشرور والهلاك ، وفضلا عما نعانيه اليوم من مساوئ الانحلال الجنسي وما نشاهده من أضرار الخمور والمخدرات مما تتضمنه الاحصاءات الخاصة بالجرائم التي ترتكب تحت تأثيرها فان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في كتابه العزيز مصائر الأمم والمجتمعات التي سلكت هذا السبيل ونهجت ذلك النهج وكيف كان مآلها الهلاك والدمار واذا كانت حجتنا في عدم استيعاب تلك الدروس طول العهد بيننا وبين تلك الأمم فما بالنا والدراسات الأقرب عهدا للحضارات التي سبقتنا مباشرة كالحضارة الساسانية في فارس والحضارة الرومانية في روما ثم القسطنطينية تبين لنا بكل جلاء أن الانحلال الأخلاقي لشعوب هاتين الحضارتين كان العامل الأول والأهم في سقوطها ثم دمارها على أيدي أمة صغيرة بينها وبين المستوى الحضاري المادي الذي بلغته هاتان الحضارتان بونا شاسعا ولكنها تفوقت عليهما بتقدمها الحضاري المعنوي المتمثل في عقيدة صحيحة وتشريع محايد لا يحابي فئة على حساب فئة ولا يميل إلى فريق لمصلحة فريق ، ولا يمالئ الأغلبية لمجرد كونها أغلبية بل إنه يصم هذه الأغلبية في بعض الأحوال التي تنقاد فيها لشهواتها بالضلال : **(وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)** الأنعام/ ١١٦ ولا يقر لفئة بالفضل أو يمنحها وصفا متميزا تتسلط به على التشريع وإنما يضع معايير موضوعية خالصة إذا توفرت في فئة كانت هي الأقرب إلى الله أى الأتقياء أو أهل التقوى ، وهؤلاء بعكس من يسمون في الفكر السياسي الحديث بأهل الصفوة يتحملون أعباء ينوء بها غيرهم ولا يحصلون على مزايا دنيوية وإنما ثوابهم كله في الآخرة .

فهل آن لنا أن نستوحي ديننا الحنيف حلولا نواجه بها مشكلاتنا ومن بينها بل وفي مقدمتها مشكلة حياد القانون ؟!


عبر مستلهمة
من
غزوة حنين

للدكتور حسن فتح الباب

قطعت الدعوة الاسلامية شوطا كبيرا بفتح مكة وإذعان قريش لسلطان المسلمين بعد مكابرة عنيدة ، وصد عن سبيل الله ، وإفساد في الأرض بلغ حد إشهار السيف في وجه النبي وأصحابه تهديدا لهم ، ثم شن الحروب الضارية عليهم تريد أن تقتحم عليهم المدينة لتخضعهم لجبروتها ، ولتوقف مسيرة العقيدة الجديدة وتخمدها في مهدها . ولكن نصر الله كان عظيما ، فخرج الحق من صراع الباطل قويا رافعا رايته المقدسة على ذرى مكة معقل المشركين ومجمع مصالحهم .

وانطلق بلال يؤذن للصلاة في البيت الحرام . واشرقت الأرض بنور ربها وانتصر المستضعفون فيها ، وتطهرت قلوب الرجال في بلد كانت تعبد الحجارة من دون الله . وغمر البشر وجوه المؤمنين وفاضت بالأمن والسكينة قلوبهم . وانصرف الرسول الكريم ، وهم من حوله : ينظم شئون الدولة الناشئة ، ويفقه رجاله في الدين ، ويرسى دعامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وما كان أعظم لقاء المهاجرين بآبائهم وأبنائهم وإخوتهم وذوي قرباهم ممن تركوا في مكة في أيام وليال عصيبة بلا وداع ، مضحين في سبيل العقيدة العصماء بوشائج القربى وروابط الانتماء ، ناجين بما آتاهم الله من نعمة الاسلام ، مؤثرين ضياء العقل والوجدان على عرض الحياة الدنيا . لكم قرت عيونهم ، وطابت نفوسهم ، بالعودة الى الموطن الأم كرماء منصورين بعد أن كانوا قلة تعصف بهم رياح الشرك وتستبد بهم ظلمات الجهلاء .

العدوان يطل برأسه :

بيد أن العدوان الذي قضى عليه في مكة ، قد بدا يطل برأسه من حولها عاديا متحديا ، ذلك أن قبيلة هوازن ــ وكانت تقيم في الجبال المحيطة بمكة في جنوبها الشرقي ــ ظلت على شركها مستعزة بجاهليتها لائذة بأصنامها . فلما بلغها فتح المسلمين مكة خشيت ان يدركها ما أدرك قريشا فتفقد نفوذها وتضعف شوكتها . هناك بادرت الى حشد قواها تناصرها قبائل ثقيف ونصر وجشم وقد اجتمعت على القتال ، وبلغ من حماسها لخوض الحرب وفزعها

من قوة المسلمين في نفس الوقت أن محاربيها قد ساروا الى ساحة الوغى يسوقون معهم نساءهم وأطفالهم وأموالهم حتى يستميتوا في المعركة دفاعا عن العرض والمال والنفس .

اعتصام هوازن بقمم حنين :

وعقدت هوازن راية جيشها لمالك بن عوف النصري قائد ثقيف فوضع خطته على أساس الاعتصام بمرتفعات جبل حنين والترصد للمسلمين حتى اذا نفذت جموعهم من واديه انقض عليهم المحاربون تحت إمرة مالك بالسهام والنبال مطبقين عليهم من قمم الجبل كأنهم القضاء المحتوم ، فيستولى عليهم الذعر ويتشتت شملهم ويولون الأدبار مثخنين بالجراح .
وتمت الخطة المرسومة كما أعدها مالك ، وصحت توقعاته في مبدأ الأمر ، اذ انطلق جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت قيادته ، ولما يمض غير اسبوعين على المقام في مكة ، وكان جيشا لم يحتشد للمسلمين مثله من قبل اذ بلغت قوته اثني عشر ألفا من المقاتلين الأشداء الذين فتحوا مكة . وكانت تلك الوفرة في العدد والعدة مثار فخار الجنود وعزتهم وباعثا على تحفزهم وحماستهم وثقتهم في النصر المبين . وكيف لا تزخر جوانحهم بالبشر والاعجاب ، وقائدهم رسول الله ! وفيهم كبار الصحابة وبينهم خالد بن الوليد .

مفاجأة في بكرة الفجر :

وفي وادي حنين نزل الجيش العظيم في مساء يوم من أيام التاريخ الخالدة . وكانت ساعة الصفر في بكرة الفجر ، ولم يكد يتحرك زاحفا في أعماق الوادي حتى ناشته نبال العدو من كل جانب كأنها المطر المنهمر لا يستطيع لها دفعا . فدب الذعر في النفوس من هول تلك العاصفة المفاجئة ، وتفرق الجميع وولى من ولى من المسلمين بعد أن أخذت هوازن زمام المبادرة ، وملكت القدرة على الحركة واستغلت الموقع الاستراتيجي الحصين ، والوقت المناسب لها وهو بكرة الفجر التي تختلط فيها المرئيات . وبلغ من فرط ما أصاب المسلمين في تلك العملية أن أبا سفيان بن حرب وكان قد أعلن الاسلام عند الفتح ولما يدخل الايمان قلبه وسار في جيش رسول الله ــ قال متشفيا : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » وقال منافق آخر هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وكان أبوه قد قتل في غزوة أحد : « اليوم أدرك ثأري من محمد » . وقال ثالث من أهل النفاق والرجعية : « هو كلبة بن ضبل » « ألا بطل السحر اليوم » فرد عليه أخوه صفوان : « اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربني ــ يقودني ــ رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن » .

ثبات الرسول في موقعه :

وكان موقفا عصيبا واجهه محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم مواجهة قائد مناضل عظيم . فلم تكن هذه أول محنة في تاريخ الرسالة ، فمن قبلها كانت أحد وكان النصر في أعقاب الهزيمة . والاسلام دين الثبات في الشدة والمقاومة حتى آخر نفس ، وكل نفس ذائقة الموت ، والموت حق ، والله قد وعد الشهداء بالجنة خالدين فيها أبدا ، فليثبت المسلمون وليفتدوا دينهم بأرواحهم فان لهم عند الله منزل صدق . وما نفع الحياة اذا عادت دولة الجاهلية وظفرت عصابة الافك والبهتان ، وغلب الاستبداد الحرية ، وانتصر الذل والمهانة على العزة والكرامة ، والجهل على العلم ، والظلم على العدالة !

لقد جابه النبي العدو ثابتا لا يتزحزح عن موقعه ، وحيدا الا من قلة من المهاجرين والأنصار حوله ، ووقف وما في الموت شك لواقف ، ضاربا بذلك أعظم المثل للمسلمين ممن صاحبوه ، والذين يأتون من بعده في البطولة الخارقة ، والروح القوية المؤمنة ، والارادة الصلبة التي تستهين بالخطر دفاعا عن قضية الحق للبشرية كلها ، ونادى جنوده وهم يمرون أمامه مولين لا يلوون على شئ : « أين أيها الناس » ! ولم يلبث حين رأى تفاقم الخطب بعد ارتداد المسلمين ان حزم أمره على الاندفاع بنفسه وسط المعمعة لولا أن أدركه أبو سفيان بن الحارس بن عبد المطلب فحال بينه وبين اقتحام صفوف العدو الهادر كالموج .

عودة الروح :

وكان لهذه المواجهة أثرها العميق في نفوس المسلمين ، فسرت فيها من نفس رسول الله روح الفداء والتضحية فعادوا الى المعركة يفدون قائدهم الحبيب ، ويدافعون عن عقيدة الحق والحرية والكرامة ، فالموت أحب اليهم من أن تهزمهم فلول الشرك الذي سقطت رؤوسه في مكة . واندفع الأبطال الى ساحة القتال في مقاومة باسلة وقوة معنوية عارمة جعلت الواحد منهم يعدل عشرة بل مائة . وعلا صوت النبي يحفزهم الى مزيد من الاستبسال وينكرهم بالجزاء الأوفى . وارتفع هتاف العباس بن عبد المطلب : « يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا . يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة . إن محمدا حي فهلموا !! وثارت الحمية في صدور المؤمنين ورددت الأرض والسماء أصداء النداء » .

ولاحت بشائر النصر القريب عند مطلع أول خيوط الشمس . ومال ميزان القوى لصالح الاسلام وجنوده . فقد استردت القلوب ثقتها وأعاد صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها ذكريات الماضي ، ذكريات النصر بعد الصبر والعزة بعد الصمود ، والوفاء بما عقدوا من عهود ، وتطلعت الى المستقبل المأمول ، مستقبل العقيدة الالهية الحقة ، ودولة المؤمنين الصادقين في الجهاد وما كتب للمستشهدين في سجل الخلود .

النصر أو الشهادة :

وكبت أصحاب الجحيم حين رأوا المسلمين يهاجمونهم بقلوب لا تتهيب الموت بل تطلبه ، ولا تخشى الكثرة بل يزيدها ذلك إصرارا على الثبات ، وتزايد عدد المقاتلين من المسلمين فأصبحت العشرات الصامدة مئات ، ثم أصبحت المئات آلافا بينهم محمد رسول الله . ودب اليأس في النفوس المحتمية بالعدد والعدة ، المستنصرة بالباطل والمستعزة بغير الله ، المتطلعة الى المال والبنين . ودارت عليها الدائرة وردعها اقتحام المسلمين غمرات الموت صفوفا متراصة كأنهم جبل عملاق ينقض عليهم وهم لا يملكون من أمرهم شيئا ، فغشاهم الفزع ، وتخاذلت أقدامهم عن حملهم ، وعجزت أيديهم عن امتشاق السيوف ، فسارعوا الى الفرار فرادى وجماعات ناجين بأنفسهم مضحين بأعراضهم وأبنائهم وأموالهم .

الآن حمى الوطيس :

وكلما ازداد جند الرسول واستهانوا بالموت ازداد المشركون رعبا وخارت عزائمهم ، وأدركوا أن استغلالهم فرصة الظلام لم يجدهم شيئا ، فها هو النهار قد غمر المعركة بأنواره ، فذهبت الغشاوة عن عيون المسلمين ، وأصبحوا أمامهم وجها لوجه . وها هو محمد صلى الله عليه وسلم ما زال يقودهم ويبعث فيهم رؤيته وهتافه بهم قوة لم يعتدها البشر من قبل . وها هم الأنصار يعلو نداؤهم بعضهم لبعض : « يا للأنصار ــ يا للخزرج » . ويطمئن رسول الله وقد أجيب دعاؤه فعاد المسلمون يوجهون أشد الضربات الى أعداء الله فارتفع صوته قائلا : « الآن حمى الوطيس . إن الله لا يخلف رسوله وعده . ثم تناول حفنة من الحصى ملقيا بها في وجوه الأعداء قائلا : شاهت الوجوه ؟» .

مصير محتوم :

وبدا المصير المحتوم مجسدا في عيون المشركين ، فجدوا في الفرار ، والمسلمون وراءهم يطاردونهم هاتفين : (الله أكبر ، الله أكبر) وها هوذا النبي الكريم يتحقق على يده النصر العزيز من الله بما صابر وناضل . وها هم أولاء يصدقون ما عاهدوا الرسول عليه . وها هي القيم الاسلامية التي ثبتها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم تحبب اليهم الظفر باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة . اما العدو فقد حقت عليه لعنة الهزيمة بما غوى وأفسد وبغى في الأرض .

درس أحد :

ورغم كثرة الغنائم التي تركتها هوازن وثقيف في انسحابها ، فقد أوغل المسلمون في تعقب العدو دون أن يشغلوا أنفسهم بالاستيلاء على هذه الغنائم ، مستفيدين من درس غزوة

أحد . ولم يزالوا في مطاردتهم أعداءهم حتى أدركوهم في أوطاس فأجهزوا على البقية الباقية منهم وأوقعوا بهم هزيمة مرة ، ثم انصرفوا الى ما خلفوا من أموال وذخائر يستولون عليها ، وكان الرسول قد أعلن أبان المعركة حفزا لهم على القتال أن من قتل مشركا فله سلبه .

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة :

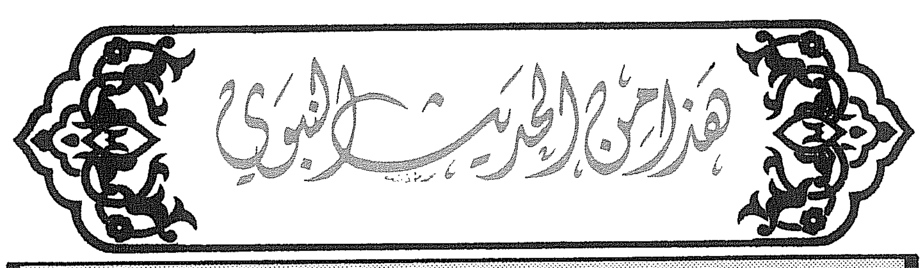
وكتب النصر لجيش الحق وزهق الباطل . وصدق الله العظيم : (**لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين . ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم . يأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم**) . التوبة/ ٢٥ ــ ٢٨ .

دروس مستلهمة :

والدروس التي نستلهمها من هذه المعركة تفتح أعيننا على طريق النصر ومتطلباته . فقوة العقيدة التي وهبها الله لرسوله كانت الدافع الأكبر الى ثباته . والتعبئة الروحية التي أودعها ، صدور رجاله من طريق القول المطابق للعمل ، ورعايتهم واقامة العدل بينهم ، والارتفاع بمستواهم الفكري والخلقي وفقا لمنهج الشريعة القويم كانت الباعث الى عودتهم الى ساحة الحرب واستماتتهم في مقاتلة العدو .

والقدرة على مغالبة المحنة التي منوا بها حين انقضت عليهم هوازن في عملية الصبح فقتلت منهم الكثيرين ، أذكيت في قلوبهم بفضل تجارب المقاومة التي اكتسبوها خلال صراعهم الطويل وجهادهم الدائب في سبيل العقيدة . والحوافز التي أثارها النبي في نفوس أصحابه كان من شأنها رفع روحهم المعنوية وإصرارهم على الانتصار مهما بلغت التضحية .

وكان انتصارهم عزيزا مؤزرا ، لم ينالوه رخيصا ، بل دفعوا فيه أغلى الثمن ، دفعوا فيه حياة كثير من الأحباب الذين استشهدوا في المعركة ، حتى لقد فنيت أو كادت قبيلتان من المسلمين كما تروى بعض كتب السيرة . لقد مات هؤلاء الأبطال في أشرف معركة ، ماتوا ليعيش إخوانهم من بعدهم يرفعون راية الاسلام في كل مكان . ماتوا لتحيا أعظم القيم التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية ، ماتوا لنعرف نحن الذين خلفناهم أن ثمن النصر غال ، ولا بد أن يدفعه الفرد لتبقى الجماعة حرة كريمة ، ولتمضي حركة التاريخ الى الأمام في سبيل غد مشرق للانسان .



نلتقي بالقراء على صفحة « هذا من الحديث النبوي » لنقدم باقة من الأحاديث الصحيحة ، يجد فيها المسلم أكرم زاد من الهدى المحمدي .

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

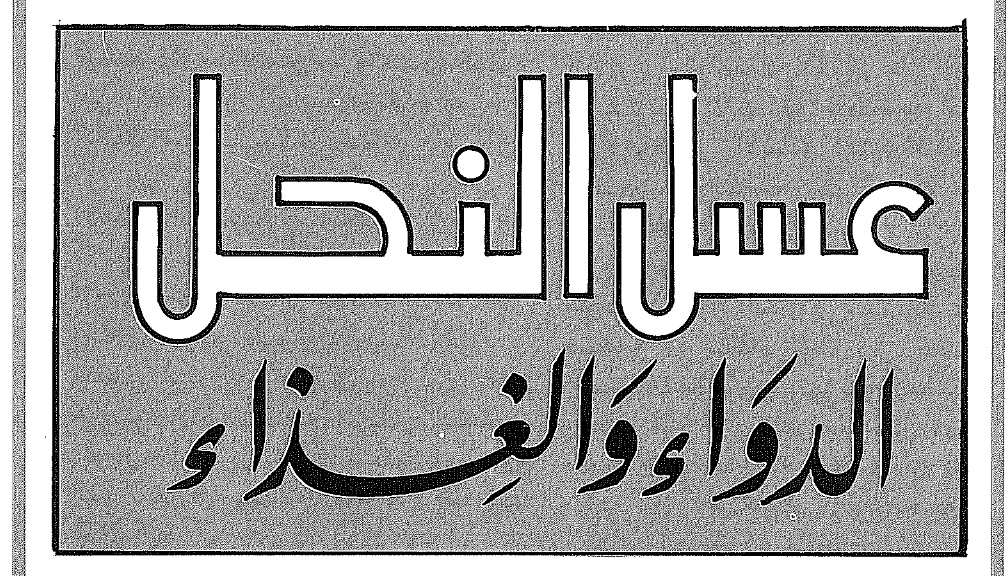
« كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام فانه لي وأنا أجزى به ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .

رواه البخارى

معلوم أن ما يتولى العظيم إعطاءه لا يكون الا عظيما ، وفرق بعيد – ولله المثل الأعلى – بين ما يعطيه الملك بنفسه ، وما يعطيه على يد وزير مثلا .. والصائم يفرح فرحا جزئيا عند إفطاره بعد غروب الشمس ، لأنه سيرد جوعته ، ويروي ظمأه ، ويفرح يوم العيد لأنه سيقبض جائزته بعد اداء صومه على الوجه الأكمل . والفرحة الكبرى حين يلقى ربه أي يراه بلا كيف ولا انحصار ، والمؤمنون يرون ربهم كل على قدره حتى إن لله لرجالا لو حجبوا عنه طرفة عين لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار ولكنها رؤية بلا كيف ولا انحصار – تعالى من خلق الزمان والمكان أن يحويه مكان او زمان وتعالى رب البرية ان يتكيف بكيفية ....

عن أنس رضي الله عنه أن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **إني حاملك على ولد ناقة** » فقال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **وهل تلد الابل إلا النوق** » ؟
استحمل رسول الله : طلب منه أن يحمله على دابة . (رواه الترمذي وأبو داود بسند صحيح)

فيه شفاء للناس (٢)



للدكتور/ابراهيم سليمان عيسى

في المقال السابق تعرضت لبيان الاستعمالات العديدة لعسل النحل في شفاء كثير من أمراض البشرية وعللها. من واقع التقارير والابحاث الطبية الحديثة التى تثبت السبق العلمى والاعجاز القرآنى فيما وصف هذا الشراب الذى يخرج من بطن حشرة نحل العسل بقوله تعالى « **فيه شفاء للناس** » وفي هذا المقال نتكلم عن الأهمية الغذائية العظمى لعسل النحل ، ويتكون عسل النحل أساسا من سكرى العنب والفواكه وعدد كبير من الأملاح المعدنية والخمائر والفيتامينات والمركبات النباتية الفعالة ونسبة من الماء . والمعروف أن سكر العنب والفواكه لا يحتاج في الجسم الى عملية هضم بل يمتص مباشرة في الدم ويستفاد منه فورا .

خمائر العسل :ـ

وجد بالتحليل الكيماوى أن عسل النحل يحتوى على عدة خمائر هاضمة ، والمعروف أن الخمائر والانزيمات مركبات فعالة في تحليل المكونات الغذائية بكفاءة عالية مذهلة تعجز عنها أعظم

المعامل الكيميائية وأضخمها ، ويعزى بعض العلماء الخواص الممتازة للعسل على ما يحويه من خمائـر متعـددة ، والخمائر الموجودة بعسل النحل تقوم بتحويل النشا الى سكر ثم بتحويل هذا السكر الى سكر أحادى ، كما توجد به خمائر تحطم الأكاسيد الفعالة وخمائر تهضم المواد الدهنية ، وللعسل القدرة على ازالة عسر الهضم وشفاء أمراض الجهاز الهضمى كما سبق .

الأملاح المعدنية في العسل :

يوجد بالعسل عدد كبير من الاملاح المعدنية منها أملاح الكالسيوم والحديد والكلور والفوسفور والكبريت واليود ، وبعض أنـواع العسـل يحتـوى على الراديوم وتكاد نسبة الأملاح المعدنية الموجودة بالعسل تعادل نسبتها في مصل الدم البشرى ويتضح ذلك من الجدول التالى :ـ

العنصر	الدم البشرى	عسل النحل
المغنسيوم	.٠١٨	.٠١٨
الكبريت	.٠٠٤	.٠٠١
الفوسفور	.٠٠٥	.٠١٩
الحديد	آثار	.٠٠٠٧
الكالسيوم	.٠١١	.٠٠٤
الكلور	.٣٦٠	.٠٢٩
البوتاسيوم	.٠٣٠	.٣٨٦
اليود	آثار	آثار
الصوديوم	.٣٢٠	.٠٠١

وظهر أيضا من التحليل الطيفـى للعسل احتواؤه على أمـلاح وعنـاصر المنجنيـز والسليـكون والالومنيـوم واليورون والكروم والنحاس والليثيوم والنيكل والرصاص والقصدير وغيرها ، والجدير بالذكر ان الامـلاح المعدنيـة بالنسبة للجسم هامة جدا اذ اوضحت التجارب ان الحيوانات التى تتغذى على مواد واطعمة غنية بالزلاليات والنشويات والدهون والفيتامينات ولكنها تفتقر الى الاملاح المعدنية تموت بعـد مدة من الزمن ، وبجانب كل ما ذكر فان العسل به عدد من الاحماض العضوية الهامة مثل احماض الاسكوربيك والترتريـك والليمونيك واللبنيك والاوكساليك .

فيتامينات العسل :ـ

رغم وجـود الفيتامينـات بكميـات ضئيلة في طعام الانسان فان لها أهمية ضخمة في انتظام العمل في اعضـاء الجسم المختلفة ووقايتها من الامراض . وهناك كثير من الامراض التى تصيب الانسان اذا ما اقتصر غذاؤه الى أنواع معينة من الفيتامينات ، واتضـح من التحليل للعسل ان الكيلو جرام الواحد منه يحتوى على كثير من الفيتامينات مثل فيتامين ب ١ ومقداره ٠,١ مليجرام وفيتامين ب ٢ ومقداره ١,٥ مليجرام الذى قرر الأطبـاء دوره في التمثيـل الغذائى والهضم للنشويات والسكريات والدهون والزلاليات ، كما أنه يساعد في تحسين القدرة على الابصار ويزيد من المقاومة للميكروبات العنقودية وغيرها ، ونقصه يؤدى الى حدوث قرح الامعاء وتهيج الجهاز العصبى وظهور البثور الجلدية في الوجه وامراض العيـون ، وفيتامين ب ٣ ومقداره ٢,٠٠ مليجرام والذى يعمل على منع التهابات الجلد كما أن له أثرا كبيرا في منع الشيب وتحول الشعر الى اللون الأبيض ، كما يوجد به

فيتامين ب ٥ بنسبة ١,٠٠ ملـيجرام وفيتامين جـ بنسبة ٣٠ ـ ٥٤ مللّيجرام الذى يزيد من مناعة الجسم ضد العدوى ، ويساهم في التكوين العادى للدم بالاضافة الى آثار من فيتامين ك ، وفيتامين هـ الخاص بهضم الدهون والزلاليات والمساعدة في بناء الجسم وحفظه من الاصابة بامراض الاكزيما والقوباء والدمامل والصدفية وغيرها من الامراض الجلدية ، والمتأمل يجد ان العسل غذاء ووقاية من الامراض وعلاج لها ، ولا يسعنا بعد بيان قيمة العسل غذائيا وعلاجيا وثبوت السبق العلمى للقرآن بالأدلة المادية والتجارب المعملية الا ترديد قوله تعالى :

(إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) الاسراء الآية ٩٠

سم النحل سم وترياق :ـ

لعل الناس من قديم الزمان قد قصروا إدراكهم على ما تخرجه النحلة من عسل لنيذ فيه شفاء للناس ولم يتطرق الفكر البشرى الى ما تخرجه النحلة من سم لاسع مؤلم هو ايضا ترياق شاف لكثير من امراض الناس التى استعصت على غيره من العقاقير وصنوف الأدوية المختلفة ، والقارئ للقرآن الكريم يجد ان الشفاء وصف لكل ما تخرجه النحلة من بطنها ولم يحدد الشفاء بالعسل ولم يقصره عليه كما أن المراد بالبطن في الآية الكريمة كل تجويف في داخل جسم الحشرة . الا ترى أنهم يقولون بطون الدماغ ويعنون بها تجاويف الدماغ وكذلك ههنا يخرج من بطونها اى من تجاويف جسمها وغددها المتعددة والمتباينة في إفرازاتها ووظائفها . وسم النحل سلاح ناجح تستعمله الحشرة في الدفاع عن نفسها ، ولا تبدأ أبدا بالتعدى لأنها تفقد حمتها (stinj) بعد استعمالها في لسع الانسان او الحيوان ، ويترتب على ذلك موتها بعد فترة قصيرة ، والحمة في الاصل هى آلة وضع البيض التى زودت بها إناث الكثير من انواع الحشرات وتحورت في نحلة العسل الى سلاح للدفاع بعد أن اوكلت مهمة وضع البيض في الطائفة الى ملكة النحل . ويتركب سم النحل من سائل شفاف عطرى الرائحة مر الطعم يحتوى على احماض الفورميك والايدوكلوريك والارثوفوسفوريك والهستانين والكولين والتربتوفان والكبريت ومواد اخرى بالاضافة الى كمية كبيرة من البروتينات والزيوت الطيارة التى يعزى اليها أنها سبب الألم الذى يشعر به الانسان بعد لسعه ويحتوى هذا السم على نوعين من الانزيمات التى تكسب الجسم مناعة وتكون به أجساما مضادة . وجدير بالذكر ان هذا التركيب لسم العسل لم يعرف الا منذ فترة وجيزة . ويشعر الانسان بألم شديد بعد لسعه ويتورم ويلتهب المكان الملسوع وقد يؤدى ذلك الى الوفاة في بعض الاشخاص ذوى الحساسية لهذا السم ، ومن لطف الله عز وجل ان نسبة ٢٪ فقط من الناس عندهم الحساسية الشديدة لهذا السم ، ويتعود مربو النحل والنحالون على اللسع بعد تكراره ، وتخف الآثار المرتبة عليه ، ويكتسب المربى مناعة ضد التأثر بهذا السم بعد تكرار لسعه عدة مرات تختلف باختلاف الأشخاص . وهذا هو الجانب المؤلم لسم النحل ولكنه في نفس الوقت

ترياق وعلاج لكثير من الأمراض .

استخـــدام سم النحـــل في علاج الأمراض :ـ

١ ـ يستخدم بعض الاطباء سم النحل كطريقة للعلاج منذ زمن ليس ببعيد وذلك لعلاج أمـراض الروماتـزم والتهـاب المفاصل ويلسع المريض بنحلة أو نحلتين تبعا لقدرته على تحمل اللسع مع قياس ضربات قلبه باستمرار ، ويتزايد عدد اللسعات فيما بعد تدريجيا ، ونتيجـة لهذا اللسع يحدث نزيف دموى قوى من تأثير سم النحل .

٢ ـ قامت بعض معامل الأدوية بانتاج عبوات مقفولة من سم النحل ، ويحتوى كل منها على سم مقداره يعادل السم النـاتـج عن ١٠ لسعـات على شكل مسحوق يضاف اليه ١ سم٣ ماء عند الاستعمال مع وجوب مراعاة العـلاج تحت إشراف الطبيب .

٣ ـ هذا ويستعمل سم النحل في علاج كثير من الأمراض كالحمى الروماتزمية الحقيقية وبعض الأمـراض الجلديـة والتهاب قزحية العيون والتهاب الجسم الهدبي وضغط الدم المرتفع حيث ان له تأثيرا مهبطا وعلاجا لتضخم الغـدة الدرقية المصحوبة بجحوظ العينين ، كما يستعمل علاجا في التهاب الأعصـاب وآلامهـا ، وتقـوم شركات الأدويـــة ومعاملها الآن بمحاولة تصنيـع المادة الفعالـة في سم النحـــل كيميائيـــا لاستعمالها في العلاج ، ويجب الامتناع عن استعمـال سم النحـل في بعض الأمراض كالسـل والسـكر وتصلـب الغشاء الهلامى وفى الامراض التناسلية وامراض القلب ، كما يجـب ايقـاف العلاج فورا اذا حدث ان شعر المريض بعد لسعه بضعـف عام أو بالحمـى والصداع والارتكاريا والطنين في الأذن والاسهال وغير ذلك من الاعراض . كما أنه من المعروف أن المرضى الذين يفيدهم سم النحـل لا يصابـون بأورام ولا يشعرون بأى ألم بعد اللسع .

٤ ـ وتوجد طرق طبية للعلاج بسم النحل كما توجد أجهزة متنقلة لهذا العلاج مذكورة في الابحاث والنشرات الطبيـة والصيدلانية ، ومن أهم هذه الطـرق الحقن بسم النحل في الجلد . وتحت الجلد والاستعمال من الظاهر وهى طرق شائعة ولكنها محل تجريب وغير موثوق بها تمام الثقة كذلك يستعمل دهان سم النحل الذى يحضر من سم النحل النقى وزيت البارافين وحمض الساليسليك ، كما يستعمل سم النحل استنشاقا من بخار ماء مسحوب من جهاز استنشاق عادى ويحمل معه أبخرة سم النحل الذى يستنشقها المريض خلال انبوبـة من الصيني ، وتفاصيل هذه الطريقـة ما زالت حتى الآن محل بحث وتجريب .

٥ ـ وفي حالة التسمم بسم النحل يجب اسعاف الملسوع بنزع الحمة من جسمه على أن تكون الأيدى نظيفة حتى لا يتلوث الجرح ، وينصح الاطباء بدهان مكان اللسع بمحلول مكون من الكحول بتركيز من ٧٠ ـ ٩٦٪ ومحلول واحد في الالف من برمنجنات البوتاسيـوم والنشـادر واليود والعسل الذى لم يتجمد .

الغذاء الملكي ومفعوله السحرى في شفاء الأمراض .

على أنه تجب الاشارة الى الغـذاء الملكى ومفعوله السحـرى في شفـاء

الامراض ، والغذاء الملكى سائل بنى تنتجه الشغالات الصغيرة وعمرها يتراوح ما بين ٥ ــ ١٤ يوما من غدد في مقدمة رأسها ، ويستعمل هذا الغذاء في تغذية الملكة ويرقات النحل الصغيرة ، ومنذ فترة وجيزة اكتشف المفعول السحرى لهذا الغذاء واصبح مطلب بلاد كثيرة ووصل سعرا أغلى من الذهب مما دفع بعض اصحاب المناحل الى التخصص في انتاج المركب وامداد الصيدليات والمعامل بحاجتها منه ، وتوجد طرق عديدة لحفظ الغذاء الملكى في الصيدليات ، كما يستعمل الغذاء للعلاج بطرق متعددة عن طريق الفم أو الحقن ويستعمل الغذاء الملكى في الوقاية من الامراض وعلاج الكثير منها .

١ ــ استعماله في كريمات التجميل والمراهم

بنسبة ١ : ٥٠,٠٠٠ ومن مزاياه أنه يعيد الشباب على خلايا البشرة ، ويمحو التجاعيد الدقيقة ، وينبه الدموية السطحية .

٢ ــ الاسراع في سرعة النمو وعلاج الأقزمة والضعف الجنسى .

ثبت ان تعاطى جرعات الغذاء الملكى أو الحقن به تزيد من سرعة النمو ، وتعالج به الآن امراض الأقزمة وامراض الضعف الجنسى كما تعمل هذه الجرعات على تجديد الشباب وشفاء النوراستانيا .

٣ ــ والغذاء الملكى أيضا علاج لأمراض سوء التغذية والانهيار العصبى والشيخوخة والضعف الجنسي والتهابات البروستاتا ، ومع كل نلك فمازالت الخواص العلاجية والوقائية للغذاء الملكى في المراحل الأولى ، ولسوف تظهر التجارب القيمة الغذائية والوقائية والعلاجية للغذاء الملكي .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد قدما سبقا علميا في الحديث عن حشرة نحل العسل وطبائعها وغرائزها ومنتجاتها .

شمع العسل والخواص الشفائية له :

شمع العسل احد منتجات المناحل وتفرزه شغالات عسل النحل من غدد خاصة وهو مادة معقدة التركيب تتركب من حوالى ١٥ عنصرا بالاضافة الى ما يحتويه من اصباغ ومواد عطرية يرجع اليها السبب في لون الشمع ورائحته ، ولشمع العسل قدرة علاجية كبيرة فتشير المخطوطات القديمة الى أن الشمع يزيل كل القروح واذا استعمل مع زيت البنفسج الحلو يريح القلب كما يشفى الدمامل والجروح ، ويستعمل شمع العسل في الطب الشعبى لكثير من الشعوب والأمم في علاج امراض كثيرة خصوصا مرض الثعلبة ، وقد أشار (د . رابوبورت) الى أن الدهان المكون من شمع العسل والزبدة له أثر فعال في علاج مرض الثعلبة ، كما انه لا يحوى اى مواد مهيجة ولا يترك آثارا في الجلد بعد العلاج بعكس العقاقير الأخرى التى تستعمل في علاج هذا المرض ، ويدخل ويشيع استعمال شمع العسل في الطب في عصرنا هذا في كثير من الادهان والكريمات وجميع اللزق وفي كثير من المراهم المستعملة في الطب البشرى والبيطرى على حد سواء .





« الجبار » هو أحد أسماء الله الحسنى .

واللغة تقول : الجبر ضد الكسر ، والمادة موضوعة لاصلاح الشئ بلون من القهر ، يقال : جبر العظم من الكسر ، وجبرت الفقير أغنيته ، وقيل : إن المادة مأخوذة من قولهم : نخلة جبارة إذا فاتت الأيدي . فالنخلة اذا طالت وعلت ، وقصرت الأيدي عن أن تنالها ، أو تنال أعلاها ، سميت نخلة جبارة ، لأن الجبار من النخيل هو الطويل الذي فات يد المتناول . ومن هنا قالوا : إن الجبار في اللغة هو العالي العظيم . والجبار صيغة مبالغة من جبر ، إذا أغنى الفقير ، وأصلح الكسير ، وجبر الشئ أصلحه .

ويقول الغزالي : إن الجبار في حق الله تعالى هو الذي تنفذ مشيئته على سبيل الاجبار في كل أحد ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، والذي لا يخرج أحد عن قبضته ، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته ، فالله تعالى هو الجبار المطلق ، لأنه يجبر كل احد ، ولا يجبره أحد ، فهو قاصم ظهور

للدكتور أحمد الشرباصي

الجبابرة .

ويقول عبد الله بن عباس : الجبار هو الملك العظيم . ويقول ابن الأنباري : الجبار في صفة الله تعالى هو الذي لا ينال . وقيل : الجبار الذي لا تناله يد جائرة ، ولا ينازعه معارض . وقيل : الجبار هو المتكبر ، والتكبر في حق الله وصف محمود ، وفي حق العباد وصف مذموم . وقيل : الجبار بمعنى المجبر ، اى المكره من جبرته على الأمر وأجبرته ، فهو سبحانه لا يكون من خلقه إلا ما يريد : شاءوا أو أبوا ، او الجبار بمعنى المصلح من قولك : جبرت الكسر إذا أصلحته ، والشاعر يقول :

« قد جبر الدين الاله فانجبر »

وجاءت في « تاج العروس » هذه العبارة : « الجبار هو الله عز اسمه ، وتعالى وتقدس : القاهر خلقه على ما أراد من أمر أو نهي . قال الأزهري : جعل جبارا في صفة الله أو صفة العباد من الاجبار ، وهو القهر والاكراه ، وقيل الجبار العالي فوق خلقه ، ويجوز أن يكون الجبار في صفة الله تعالى من جبره الفقر بالغنى ، وهو تبارك وتعالى جابر كل كسير وفقير ، وهو جابر دينه الذي ارتضاه ...

وقال بعض العلماء : إن الجبار هو الذي تنفذ مشيئته جبرا ويظهر أحكامه قهرا ، ولا يخرج أحد عن قبضة تقديره ، ولا ينفذ أحد من مشيئته في تقديره وأحكامه . ــ وليس ذلك إلا لله ــ لا يجبره أحد ولو كان عظيما في همته ، وقد أشار إلى ذلك العارفون فقالوا : همة الرجال لا تخرق أسوار القدر في أى حال .

وقد جاءت كلمة الجبروت وهي فعلوت من القهر والقسر والكبرياء والعظمة ، وورد في الحديث : « سبحان ذى الجبروت والملكوت » . والملكوت من الملك ، كالرحموت من الرحمة ، والرهبوت من الرهبة ، والرغبوت من الرغبة . وقد جاء في حديث الامام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه : « جبار القلوب على فطرتها » كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته ، والاقرار به شقيها وسعيدها .

والله يقهر الناس على ما يريد . هكذا قرر العلماء ، وأنكر جماعة من المعتزلة ذلك ، من حيث المعنى ــ كما في مفردات القرآن للأصفهاني ــ فقالوا : يتعالى الله عن ذلك ، وليس ذلك بمنكر ، فان الله تعالى قد أجبر الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها ، حسبما تقتضيه الحكمة الالهية ، لا على ما تتوهمه الغواة الجهلة ، وذلك كاكراههم على المرض والموت والبعث ، وسخر كلا منهم لصناعة يتعاطاها ، وطريقة من

الأخلاق والأعمال يتحراها ، وجعله مجبرا في صورة مخير ، فاما راض بصنعته لا يريد عنها حولا ، وإما كاره يكابدها مع كراهيته لها ، كأنه لا يجد عنها بدلا ، ولذلك قال تعالى : **(فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)** المؤمنون / ٥٣ وقال عز وجل : **(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)** الزخرف / ٣٢ .

وعلى هذا الحد وصف بالقاهر ، وهو لا يقهر الا على ما تقتضي الحكمة أن يقهر عليه .

والجبرية طائفة تقول : إن الله أجبر العباد على الذنوب ، اى اكرههم . ومعاذ الله أن يكره أحدا على معصية . وهم فرقة أهل أهواء ، يقولون : ليس للعبد قدرة ، والحركات الارادية بمثابة الرعدة والرعشة ، وهؤلاء يلزمهم نفى التكليف . وقد ورد اسم « الجبار » صفة لله عز وجل مرة واحدة في القرآن الكريم ، فذلك حيث يقول الله تعالى في سورة الحشر / ٢٣ : **(الجبار المتكبر)** .

وقد تطلق كلمة الجبار على العبد مدحا له ، وذلك هو العبد المحبوب لله الذي يكون جبارا على نفسه ، شديدا على الكفار والعصاة ، لا يلين لنفسه ، وينفذ همته فيها ، ويكون جبارا على الشيطان ، محترسا من العصيان ، متيقظا في دقائق الأمور ، متنبها عند وساوس الصدور .

ويرى الشيخ أحمد العقاد : أن الجبار من العارفين هو المنكسر في الظاهر والباطن ، قد جبر الجبار كسره ، ورفع قدره ، ونشر ذكره ، وحلاه بالحال ، وجمله بالمقال ، فكل من رآه جبرته حالته على أن يصغى اليه ، لأن حالته الظاهرة جذابة للقلوب ، وسريرته معمورة بأسرار الغيوب .

وللغزالي عبارة عن معنى الجبار من الناس يقول فيها بلغته : « الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ، ونال درجة الاستتباع ، وتفرد بعلو رتبته ، بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به ومتابعته في سمته وسيرته ، فيفيد الخلق ولا يستفيد ، ويؤثر ولا يتأثر ، ويستتبع ولا يتبع . لا يشاهده احد الا ويغنى عن ملاحظة نفسه ، ويصير متشوقا إليه غير ملتفت إلى ذاته ، ولا يطمع أحد في استدراجه واستتباعه . وانما حظى بهذا الوصف سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » . رواه الترمذي وأبو داود .

وقد تكلم القشيري عن الأدب الذي ينبغي ان يتحلى به من يذكر اسم الجبار ، فقال : « من آداب من عرف أنه سبحانه لا تناله الأيدي لعلو قدره ، أن يتحقق أنه لا سبيل إليه ، ولا بد من أمره ، ولا نصيب للعبد منه إلا لطفه وإحسانه : اليوم عرفانه ، وغدا غفرانه .

ومن آداب من عرف أنه مصلح الأمور أن يتوخى أموره اليه ، ويتوكل في جميع أحواله عليه ، إن أصابه خير علم أنه مسديه ومتحفه ، وإن أصابه ضر علم أنه يزيله ويكشفه ، فلا

يخاف من اختلال أحواله ، وقلة ماله مع كثرة عياله ، وضعف احتياله ثقة بلطفه وأفضاله » .

ومن أدب ذاكر هذا الاسم انه يقبل على تربية نفسه ، فيجبر نقائصها ، ويحملها على ملازمة التقوى والطاعة ، حتى لا تزلزله الحوادث ولا تهزه النوائب . وقد ناجى بعض الصالحين ربه فقال : يا جبار ، عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بأحد غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يرجو أحدا غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يلتفت الى غيرك ؟

وقد تأتي صفة « الجبار » في وصف الناس على أنها صفة مذمومة ، لأن الجبار من الناس كما تقول اللغة كل عات متمرد ، ومنه قولهم : ويل لجبار الأرض من جبار السماء . وقد جاء في الحديث : « إن النار قالت : وكلت بثلاثة : بمن جعل مع الله إلها آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين » . وقيل إن الجبار هو الذي يقتل على الغضب ، وقيل إن الجبار من الناس هو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا ، والقلب الجبار هو الذي لا تدخله الرحمة ، فهو ذو كبر لا يقبل الموعظة ، والجبار هو الباغي في غير حق ، وقد جاء في سورة الشعراء / ١٣٠ **(وإذا بطشتم بطشتم جبارين)** وفي سورة القصص / ١٩ . **(إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين)**

وقد روى الترمذي الحديث الذي يقول : « بئس العبد عبد تجبر واعتدى »

وفي اسم « الجبار » يقول الشاعر مخيمر مناجيا ربه تبارك وتعالى :

يا من له عنت الوجوه تضرعا
والليل داج ، والظلام سكون
رحماك يا جبار ، حكمك نافذ
وإذا أردت تقول : كن فيكون

ООО

إنا عبيدك ايها الجبار
عنت الوجوه إليك والأبصار
واليك منك يلوذ خلقك ، مالهم
فوق الحياة إذا غضبت قرار
رحماك أنت على الوجود مسيطر
وإذا انتقمت فقاهر جبار

وهناك دعاء لاسم الجبار يقول فيه الشيخ العقاد :

إلهي ، أنت الجبار الذي تنفذ مشيئتك في جميع العوالم ، وأنت القهار لكل عدو ظالم ، فتسلط جبروت الانتقام على كل مسئ لبني الاسلام . أمدنا بالقوة النافذة العالية حتى نتجبر على أنفسنا ، ونتعالى على الكفار وأهل الشرور ، ونتخلص من الشيطان الرجيم . وامنحنا الانكسار لجنابك حتى تجبر كسرنا ، واعطنا التمسك بالشرع حتى ينصلح أمرنا ، إنك على كل شئ قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اما بعد فيا رب الأرباب . ويا واصل الأسباب ويا واهب القوى والقدر ، لجأنا إلى بابك ، وعذنا بجنابك ، وأنت القاهر فوق عبادك ، وأنت جابر كل كسير ، وأنت المسهل لكل عسير ، فكن لنا ، ولا تكن علينا ، فانك أنت الرءوف الرحيم .



يسر المجلة أن تقدم لقرائها الكرام الاحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وهي من الدخيل على السنة ، لتدحض زيفها ، وتكشف القناع عن سقيمها . ويسعدنا أن نتلقى استفسارات السادة القراء وتعليقاتهم ليسهموا معنا في هذا المجال . والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

(ارحموا من الناس ثلاثة : عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما بين جهال) .

موضوع .

قال ابن حبان من رواته عيسى بن طهمان وكان يتفرد بالمناكير ويزيد الرقاشي لا يجوز الاحتجاج بخبره .

وقال الخطيب علته سمعان بن مهدى ، وهو مجهول لا يكاد يعرف ، ألصقت به نسخة مكذوبة .

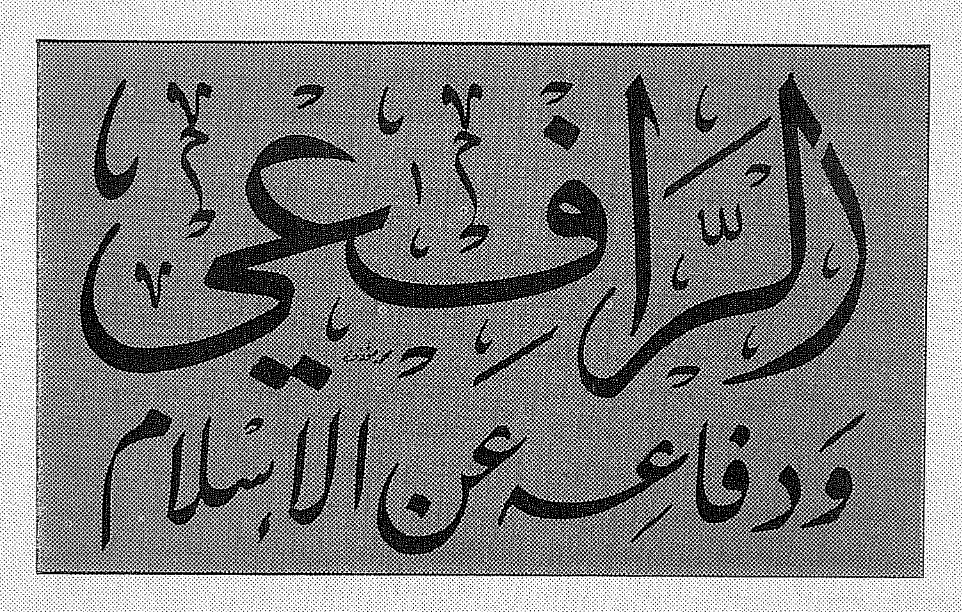
وقال ابن حبان عن وهب بن وهب أحد رواة هذا القول أيضا : إنه من الكذابين .

وقال ابن الجوزي في الموضوعات إنه موضوع ، وانما يعرف من كلام الفضيل بن عياض .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة إنه موضوع ، وفي أسانيده كذابون ومجهولون .

وقال السيوطي في الدرر المنتثرة أسانيده واهية ، وعن السيوطي أيضا في اللآلئ المصنوعة انه موضوع ، فوهب كذاب ، وسمعان مجهول ، وعيسى ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، ولا يحتج به .

وقال العجلوني في كشف الخفاء إنه موضوع لوجود بعض المجاهيل من رواته .



للاستاذ : انور الجندي

ما يزال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي وقد مضى على وفاته أربعون عاما – حيا في النفوس بفكره وحياته جميعا ، وما تزال الآراء التي قدمها في مجال الفكر الاسلامي والأدب العربي حية متألقة بل ما تزال المعضلات والتحديات التي واجهها الرافعي وكشف عن وجهة النظر الاسلامية والعربية فيها قائمة ، متجددة ، وما تزال آراؤه وكلماته – ذات الأصالة والعمق – بمثابة الضوء الكاشف أمام الباحثين والمفكرين والأدباء إزاء هذه القضايا .

ولا ريب كان الرافعي في مقدمة أهل جيله قدرة على التنبه مبكرا الى التحديات والأخطار التي واجهت الفكر الاسلامي والثقافة العربية تحت اسماء متعددة كالغزو الثقافي والتغريب والشعوبية ، في صورة تلك الحملات التي وجهت الى اللغة العربية الفصحى والى القرآن الكريم والى تاريخ الاسلام ، وخاصة تلك التي حاولت أن تفرض على النقد الأدبي أسلوبا وافدا يستمد مقوماته من المناهج الغربية التي تقوم في مجموعها على أساس أن الانسان أسير المودة والجنس (ماركس وفرويد) مع تجاهل تكامله في إطار جامع بين الروح والمادة والقلب والعقل والدين والعلم والدنيا والآخرة .

كذلك فاننا نجد الاستاذ الرافعي – رحمه الله – من أوائل من تنبهوا للدعوة العامية التي حمل لواءها لطفي السيد صاحب الجريدة في محاولة لاعلاء شأن اللهجات العامية والكلمات العامية ودفعها لتكون لغة الكتابة ، وكان هذا العمل خطوة تالية

لما قام به ولكوكس وولمور وغيرهم من دعوة الى إحلال العامية مكان الفصحى . وقد كشف الرافعي في هذا الوقت المبكر هدف هذه المحاولة الخطيرة وأشار الى أنها تستهدف القرآن الكريم نفسه وانها تعمل على الفصل بين الاداء العربي في الأسلوب الحديث وبين مستوى البيان القرآني من أجل تعميق الفوارق بينهما على النحو الذي يقضي على أسلوب البيان القرآني ويمزق اللغة العربية الى لهجات اقليمية . كان ذلك عام ١٩١١ عندما انتفض الرافعي انتفاضته المؤمنة القوية في وجه هذه المحاولة فكتب مقاله الخطير في مجلة البيان التي كان يصدرها صهره الاستاذ عبد الرحمن البرقوقي والتي كان يتولى هو الاشراف على تحريرها واقرار ما ينشر فيها مما كان يقدمه اليها أمثال المازني والعقاد والسباعي وغيرهم ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف الرافعي عن متابعة هذه القضية والوقوف في جانبها على هذا النحو الواضح الصريح : بل لعله فيما نعلم أول من ربط بين القرآن واللغة العربية في هذا العصر وفهم في غيرة مؤمنة عميقة هذا الهدف الخطير الذي طواه النفوذ الأجنبي وراء الدعوة الى النهضة والحضارة والتقدم حين دعا ولكوكس المصريين الى اتخاذ العامية لغة لهم ، مقدما لهم تجربة اللغات الاوروبية التي انفصلت عن اللغة اللاتينية في دعوى عريضة لفصل اللهجة المصرية عن اللغة العربية سواء بسواء . وهي خدعة كبرى امتدت مع الاحتلال البريطاني حين دعا خبراء الاحتلال الى التخلص من العربية الفصحى ومن القرآن وأعدوا مناهج الدراسة على هذا الأساس . فكان للرافعي وقفته الصريحة الواضحة إزاء كل من هاجم اللغة العربية الفصحى من أمثال جبران خليل جبران وسلامة موسى وغيرهما . هذا هو الامر الاول الذي سبق به الرافعي في مجال مقاومة التغريب ومواجهة التحديات التي طرحتها خطط الاستعمار والغزو الثقافي ثم جاء العاملون في هذا الحقل من بعده ، أما الأمر الثاني فهو « القرآن » الكريم نفسه فقد تناثرت أقوال حول إعجاز القرآن وترددت أقوال كانت تثير الشكوك حول هذا الاعجاز سواء في الندوات الخاصة أو في كتابات غامضة ، ومن هنا كان هذا العمل الضخم الذي قام به الرافعي وهو إنشاء كتابه الرصين « اعجاز القرآن » الذي نسب إلى سعد زغلول قوله عنه : (كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم) .

وقد وجد هذا الكتاب إبان ظهوره محاولة خطيرة لتجاهله تحت لواء ما كان يطلق عليه « مؤامرة الصمت » ولكن الاجيال التي تلت من بعد ، عرفت قدر هذا العمل وعرفت هدفه وغايته واستطاع هذا العمل العظيم أن يكشف للأجيال الجديدة عظمة القرآن الخالد ويبين مدى اتساع وعمق وكمال هذا الاعجاز .

وفي ميدان ثالث كان سبق الرافعي

لأهل جيله من كتاب وأدباء ، ذلك هو عمله الذي يطلق عليه (تأديب التاريخ) فقد قدم فصولا من التاريخ الاسلامي في أسلوب رائع وبيان خصب كشف بها عن عظمة الاسلام وبطولة رجاله ، وجدد بها من حياة الاسلام وتراثه مواقف وأبطالا ومواقع ، مليئة بالعبرة كاشفة عن عظمة الاسلام وفضله ، وذلك قبل أن يكتب العقاد وتوفيق الحكيم وطه حسين وهيكل ما كتبوه عن الرسول وصحابته (وكل هذا فيه نظر) فقد ظل ما كتبه الرافعي متميزا بذلك الايمان العميق الذي صاغه في اسلوب العصر ، بينما وجه إلى تلك الكتابات كثيرا من النقد حول منهج الكتابة أو بعض الجزئيات فكان الرافعي رائدا في هذا المجال وكان أشد أصالة .

ومن ثم وفي ضوء هذا كله : كان الرافعي هو أول من يتصدى لكل المحاولات التي أرادت أن تصيب من اللغة العربية أو القرآن أو تاريخ الاسلام ، أو إدخال مناهج وافدة على الأدب العربي ، وكان من أكبر المدافعين قوة لسان وارتفاع صوت وكان أقوى من كل العاملين في هذا الحقل ، ذلك لأنه كان بطبيعة تكوينه أقدر على ذلك فهو قد كون نفسه في إطار الاسلام وتعمق القرآن والسنة والبلاغة النبوية منذ صباه ، وجرد نفسه للعمل الخالص لله وهوقبل ذلك وبعد ذلك قد حرر نفسه من القيود التي قد تحول بين الكاتب وبين أداء الرسالة الحقة ، فقد قبل أن يحتجب وراء عمله المحدود وأجره القليل في محكمة طنطا ليكون قادرا على أداء هذه الرسالة ، وكان في مقدوره أن يعمل في محيط الصحافة في القاهرة وأن ينافس هذه الأسماء اللامعة في صحف الأهرام والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق وغيرها وأن يحصل على المكانة اللامعة والاجر المضاعف ولكنه عزف عن ذلك كله لأنه كان يؤمن بأنه لن يستطيع اذا فعل ذلك أن يقول كلمته حرة طليقة خالصة لوجه الله ، بل سيكون مقيدا بحزب أو هيئة أو جهة أو مفهوم قد يعيقه عن امانة التبليغ ويلزمه بشيء من اللياقة أو المجاملة ، وكان يرى أن هذا كله خطر على صاحب الرسالة الذي يقول ما يريد هو لا ما يفرض عليه ، ولذلك فقد كان يهاجم خصوم الاسلام واللغة العربية في الصحف المعارضة لهم ، فاذا انتقلوا الى تلك الصحف أو غيروا أحزابهم هاجمهم في الصحف الأخرى المقابلة لها ، وقد كان على كل حال متمكنا من أن يقول كلمته حرة خالصة لله كاشفة لوجه الحق دون خشية لأي حائل أو معطل .

ومن هنا كان موقفه واضحا ازاء مؤامرة « الشعر الجاهلي » فقد عرف أبعادها وحمل لواء الدفاع عن القرآن وكشف عن تلك الزيوف والشبهات التي وجهها طه حسين إلى الاسلام والقرآن وتاريخ الاسلام وكان كتابه (تحت راية القرآن) هو أقوى تلك المدافعات التي حمل لواءها : فريد وجدي ولطفي جمعة والخضر حسين والدكتور محمد أحمد الغمراوي ولقد كان أسلوبه في « الأدب العربي »

متميزا بخواصه التي يعرف بها في (الأداء) ومعالمه التي لا يشابهه فيها اسلوب آخر في (المضمون) وقد عاش على رأس مدرسة جمعت العريان وكامل محمود حبيب ومحمد محمود شاكر ومخلوف وهي مدرسة ما تزال حية قوية ممتدة ، أبــرز معالمهــا الايمان بأخلاقية الأدب وإسلاميــة الفكــرة والارتفــاع فوق اساليــب الانحلال والنفاق ، وقد صور الدكتور الغمراوي هذا المعنى تصويرا واضحا حين قال : « إن الفطرة كلها منشئها واحد هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والديــن كلاهمــا قد اجتمعــا على استحالة التناقض في الفطــرة فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجــب ألا تخالــف أو تناقض دين الفطرة ، دين الاسلام ، في شيء ، فاذا خالفته في أصوله ، ودعت صراحة او ضمنا الى رذيلة من أمهات الرذائل التي جاء لمحاربتها وعاقت الانسان أن يعمل بالفضائل التي جاء الدين لايجابها على الانسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقي في النفس والروح ، واذا خالفت الفنون الدين في شيء من هذا أو في شيء غير هذا فهي بالصــورة التــي تخالــف بهــا الدين ، فنون باطلة ، فنــون جانبــت الحــق ودابــرت الخــير ، وأخطأت الفطرة التي فطر الله عليها الناس والخلق ، والتي تريد الفنون أن تكون فيها في الصميم ، فاذا كان من شأن بعض من يعمل أو يكتب باسم الفن أو الادب أن يتجاوز في تأثيره فيحول بين الانسان وبين ربه ، ويدخل عليه الشك في دينه بأي صورة من الصور ولأي حد من الحدود ، كان بذلك البعض المعمــول به أو المكتوب باسم الفن أو باسم الأدب زورا وإفكا فالمسألة في الأدب ليست مسألة لفظ ومعنى فقط ، ولكنها في صميمها مسألة روح ، فريق يريد أن يجعل روح الادب روحا شهوانيا بحتا يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل لا يفرق بين معروف ومنكر ، ثم يصف ما لقى من ذلك من لذة أو ألم أو غيرها من ألوان الشعور ويخرج ذلك للناس على أنه هو الأدب . وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة في حدودهــا الواسعة التي حدها الله وبمظاهرها المختلفة في الفطرة كما طهرها الله لا كما دنسها الانسان والمقياس الذي انتهينا إليه في الفن والأدب ، ليس من البعد عن الفن والأدب كما يصور ، بل هو روح الفن والأدب في الصميم ، كيف يمكن أن يكون للأدب المكشوف نصيب من روح الجمال الانساني يستهوي النفس التي فيها بقية من الفضيلة والخير » .

هذا هو مفهوم الرافعــي للأدب الذي عاش يدافع عنه ويؤمن به كما عبر عنــه الدكتــور محمــد احمــد الغمراوي وسجله في ابان المعركــة التي ثارت على صفحات الرسالة اثر وفاة الرافعي بين أنصاره وخصومه ، وهذه الكلمة التي أوردناها هي التي حسمت المعركة الطويلة التي امتدت ووضعت لها نهايتها .

* * *

وهكذا وضع (الرافعي) اساس مدرسة الاصالة في الأدب العربي المعاصر ، وربط الأدب بالفكر الاسلامي باعتباره حلقة من حلقاته ، وحماه من النزعة الوافدة الداعية إلى الكشف والاباحة التي أثارها بعضهم والتي اخذت تتفشى وتفسد القصة والقصيدة والمقالة جميعا ولقد عايشنا هذا التاريخ منذ قرأنا للرافعي في مطالع الصبا وحين غدا مبكرا الى ربه فترك مكانه خاليا وحين حاول سعيد العريان التأريخ له جاء من افسد هذا التاريخ وحاول ان يفسر حياة الرافعي وتاريخه تفسيرا ماديا ثم شاء الله ان يكتب للرافعي النصفة والتبرير وان يدمر كل ما حاكه الماركسيون والعلمانيون والشعوبيون ضده حين جاء « مصطفى نعمان البدري » فقدم رسالته الضخمة على منبر دار العلوم وحصل بها على درجة العالمية عن حياة الرافعي وأدبه ــ بعد أن حصل على الماجستير عنه أيضا ، فعايشه اكثر من عشر سنوات فاستقصى هذه الحياة وهذا الفكر حتى انه لم يدع شاردة أو واردة . وكنت رفيق رحلته تلك اتابع معه عمل الرافعي الضخم الواسع العميق ، فأرى كيف جاهد في سبيل ارساء قيم الاصالة في الأدب العربي في مرحلة من أدق المراحل حين جاءت رياح التغريب والغزو الثقافي على أيدي أساطين الصحافة وقادة الجامعة ، واستطاع الرافعي الفرد المعتزل ان يواجه ذلك كله وأن يترك بصماته على حركة الأدب العربي في هذه المرحلة وأن ينمي مدرسة ما زالت تنافح في سبيل إرساء قيم الايمان والاصالة والحق .

* * *

لقد ودع « الرافعي » دنيا الأدب مبكرا ، ودعها قبل عدد من أعلام جيله : سبق المازني وهيكل والعقاد والزيات ــ وان كان اكبر منهم سنا ــ وبقى بعض هؤلاء بعده عقدا أو عقدين من السنين يكتبون وتتعرف إليهم الأجيال ، ومع ذلك فان اصالة « الرافعي » استطاعت أن تقاوم اللغو والنسيان وظلت آثاره وما تزال تطبع وتقرأ وتتحدى تلك الدعوات المادية والملحدة التي تنكرت للفكرة الاسلامية والأدب العربي والفصحى لغة القرآن وما زالت كتابات الرافعي هي طلائع هذا المجال بالسبق إلى كشف الشبهات ومواجهة التحديات وبالعطاء الذي قدمته للباحثين السائرين على الطريق فما تزال القضايا التي واجهها الرافعي قائمة بالتحدي وما تزال المعركة المستمرة وما تزال كتب الرافعي قمة في التعرف على هذا الخطر وكشفه وتقديم الردود الحاسمة في دحض هذه الشبهات وكشف زيفها . وسيظل أدبه كالمنار يهتدى به كل سائر على هذا الطريق الى الحق .

رحم الله الرافعي رحمة واسعة واجزل مثوبته .

مائدة القارئ

أولياء الله

قال الله تعالى :
(ألا إن أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البُشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ لا تبديلَ لكلماتِ الله ذلك هو الفوزُ العظيم) الآيات ٦٢ ـ ٦٤ من سورة يونس .

طريق العلم

قال أحد الحكماء لابنه :
يابني خذ العلم من أفواه الرجال ، فانهم يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويقولون أحسن ما يحفظون ،

لكعاب الضيفان

قيل إن الحطيئة كان من البخلاء ، فقد مر به إنسان ، وهو على باب داره ، وبيده عصا ، فقال : ضيف .
فأشار الحطيئة الى العصا وقال : لكعاب الضيفان أعددتها .

كريم .. ولئيم

قال الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

الأيدي ثلاث

قال أحدهم :
الأيدي ثلاث : يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء :
فاليد البيضاء : هي الابتداء بالمعروف .
واليد الخضراء : هي المكافأة على المعروف .
واليد السوداء : هي المن بالمعروف .

العمل

روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « يتبع الميتَ ثلاثةٌ ، فيرجعُ اثنان ويبقى معه واحد . يتبعه أهلُهُ ومالُهُ وعمله ، فيرجعُ أهلُهُ ومالُهُ ، ويبقى عملُهُ » . أخرجه البخاري .

دواء القلوب

قال ابراهيم الخواص :

دواء القلوب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلو البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

الخير للجميع

قال الشاعر :

ولو أني حبيت الخلد فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت علي ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

حكمة

قال حكيم :

ربما أصاب الأعمى رشده ، وأخطأ البصير قصده .

لك الحمد

قال الشاعر :

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله ... على نعم ما كنت قط لها أهلا
أزيدك تقصيرا تزدني تفضلا ... كأني بالتقصير أستوجب الفضلا



للاستاذ مصطفى محمد الحديدي الطير

كان سعد بن أبي وقاص قائـدا لجيوش المسلمين فى فتح بلاد الفرس ولما أكرمه الله تعالي بفتح المدائن ــ عاصمة الفرس ــ وفتح جلولاء وغيرها من بلادهم ، أرسل وفدا بخبر هذه الفتوح تفصيلا الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فلما رآهم وشاهد تغير ألوانهم وحالهم ، سألهم عن سبب ما أصابهم ، فأخبروه بأن جو البلاد التي فتحوها في بلاد الفرس لا يناسبهم ، فتغيرت بسببه ألوانهم ، وضعفـت صحتهم ، وثمت رواية أخرى جاء فيها أن حذيفة بن اليمان كان مع سعد في فتوحاته ببلاد الفرس ، وأنه كتب الى عمر أن العرب قد رقت بطونهم ، وجفت أعضاؤهم ، وتغيرت ألوانهم ،

فكتب عمر الى سعد : أخبرني . ما الذي غير الوان العرب ولحومهم ؟ .

فكتب اليه سعد أن الذي غيرهم وخومة البلاد، وأن العرب لا يوافقهم الا ما وافق ابلهم من البلدان .

وسواء أصحت الرواية الأولى أم الثانية أم هما معا ، فان عمر رضي الله عنه، اهمه امر المجاهدين وشغلته حالتهم الصحية ، فكتب الى قائده سعد بن أبي وقاص أن ابعث سلمان الفارسي وحذيفة ، ليرتادا مكانا بريا بحريا ، بحيث لا يفصله عن عمر بحر ولا جسر ، فاذا وفقا اليه ، فليجعله منزلا للمسلمين ومدينة لهم :

فخرج سلمان الفارسي حتى أتى الأنبار ، ثم سار في غرب الفرات ، فلم يعجبه شيء من الأرض التي مر بها ، حتى أتى أرضا ذات رمل أحمر فاستقر عندها .

وسار حذيفة في شرق الفرات لا يرضيه شيء مما مر عليه ، حتى أتى هذه الأرض التي وقف عندها سلمان الفارسي فأعجبتهما تلك البقعة ، فصليا عندها ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات .

وذكر الطبري من دعائهما : اللهم رب السماء وما اظلت، ورب الأرض وما أقلت ، والريح وما ذرت، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعلها منزل الثبات .

والكوفة فى اللغة الرملة الحمراء المستديرة ، أو كل رملة تخالطها حصباء ، وقد كانت الارض التي اختاراها كذلك ، فلذا اطلقا عليها اسم الكوفة ، ثم رجعا ، الى سعد يخبرانه بما وقع اختيارهما عليه .

الانتقال من المدائن الى الكوفة

لما علم سعد بصلاحية المكان الذي اختاراه لنزول المجاهدين ، ارتحل بهم من المدائن حتى نزل بالكوفة في المحرم سنة سبع عشرة ، وكان بين نزولهم الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران ، وكان بين مبدأ خلافة عمر والنزول بالكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر ، ولما نزلها سعد بالمجاهدين ، كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : اني قد نزلت منزلا فيما بين الحيرة والفرات بريا وبحريا ، ينبت الحلفاء والنصي — نوع من النبات — وخيرت المسلمين بين المدائن وبين الكوفة ، فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة — الجنوب — ولما استقر المجاهدون بالكوفة عرفوا أنفسهم ، ورجع اليهم مافقدوه من قوتهم ، واستأذن الناس سعدا في بناء بيوت لهم من قصب — نوع من النبات يشبه الانابيت — يأوون اليها ، فذكر لهم أن الاقامة في المعسكر اشد لهم في حربهم ، وأكثر تذكيرا لهم بالاستعداد للقاء العدو ، وقال : ولكني لااحب أن أخالفكم .

فابتنوا البيوت التي أرادوها ، ولكن الحريق شب فيها في شهر شوال فأتى عليها ، فبعث سعد الى عمر يستأذنه فى بناء بيوت باللبن ، ويخبره بالحريق الذي أصابهم ، فأذن لهم ، ولكنه نهاهم عن ان يزيد احدهم على ثلاث غرف ، وان يتطاولوا في البنيان ، وأمرهم أن يلزموا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتبقى دولتهم ولا تزول صولتهم .

وقد جعل سعد عرض الشارع بين دورها سبعة أذرع ، وأول مابنى فيها مسجدها ، وجعل أمامه ظلة فوق أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة .

قصر سعد والأسواق بالكوفة

أمر سعد ببناء دار له أمام المسجد، وجعل بينها وبينه طريقا عرضه مائتا ذراع ، وجعل بيوت الأموال في هذا الطريق ، وقد بنى ذلك كله بالآجر الأحمر كعادة الفرس بالحيرة ، ولم يبنه باللبن كما فعل باقي المجاهدين وفقا لعادتهم في بلاد العرب ، وأمر بانشاء أسواق عامة يجلس فيها التجار للبيع ، وجعل الحق فيها على نظام المساجد ، فمن سبق الى مكان يجلس فيه للبيع فهو له حتى يرجع منه آخر اليوم الى بيته بعد أن يفرغ من بيعه ، وشأنه في ذلك شأن من سبق الى مكان بالمسجد فهو أحق به حتى يخرج منه .

عمر يأمر بحرق باب القصر

كان عمر ــ رضي الله عنه ــ حريصا على بقاء المسلمين على منهاج النبوة من الزهد فى الدنيا والتواضع ، وأن لا يحتجب امراؤهم عنهم ضمانا لمصالحهم ، فلما بلغه أن سعدا بنى دارا عظيمة ، وأن الناس يسمونها قصر سعد ، وأنه حين يسمع في قصره أصوات الناس وجلبتهم في الأسواق ، يأمرهم بخفض اصواتهم، ــ لما بلغه ذلك ــ بعث محمد بن مسلمة الى الكوفة ، وأمره أن يحرق باب القصر ثم يرجع ، ففعل :

فلما علم سعد بن أبي وقاص بما حدث من محمد بن مسلمة لم يتغيظ ولم ينفعل ، ولكنه قال : « هذا رسول ارسل ليصنع ما صنع » ، ثم استدعاه سعد فأبى أن يدخل اليه ، لأن أمير المؤمنين لم يأمره بذلك ، فكان عند حدودالمهمة التي أوفد من أجلها ، ولهذا لم ير سعد بدا من أن يخرج اليه ، فسلمه كتاب عمر ــ وقد جاء فيه ــ : « بلغني انك اتخذت قصرا جعلته حصنا ويسمى قصر سعد ، وبينك وبين الناس باب ، فليس بقصرك ، ولكنه قصر الخبال ، انزل منه مما يلي بيوت الأموال ، واغلقه اولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت »فحلف سعد بن أبي وقاص لمحمد بن مسلمة انه لم يحدث منه ما قالوه عنه ، من تسميته لداره قصرا واتخاذه اياه حصنا، ومن نسبة هذا القصر الى نفسه ، ومن أنه كان يأمر اهل السوق أن يخفضوا أصواتهم ، الى غير ذلك مما تقولوه عليه ، وأوغروا به صدر أمير المؤمنين، فرجع محمد بن مسلمة من فوره ، حتى اذا قرب من المدينة فنى زاده ، وكان سعد قد عرض عليه نفقة فأبى أن يأخذها تعففا وورعا ، فاضطره الجوع بعد فناء زاده أن يأكل لحاء الشجر ــ أي قشره ــ ثم وصل المدينة فأبلغ أمير المؤمنين ما قاله سعد فصدقه وقال : هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغني » .

واستمر سعد في ولاية الكوفة بعد انشائها ثلاث سنين ونصفا ، غير ما كان له قبلها بالمدائن .

الحكمة في أمر عمر بحرق باب القصر

قد يقول قائل : كيف يأمر عمر رجلا من المسلمين ، أن يرتحل من المدينة الى الكوفة ويتجشم الصعاب ليحرق باب قصر سعد ؟ وأي مانع من أن يتخذ سعد أو غيره له قصرا ، وأن يكون لهذا القصر باب يغلقه عليه عندما يرى حاجة الى اغلاقه ، ويفتحه عندما يرى حاجة الى فتحه ؟ أليس الله تعالى يقول : ((**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**)) الاعراف/٣٢ وكيف لا يبنون بيوتهم باللبن في الكوفة الا بعد استئذانه ؟ وكيف يوصيهم أن لا يزيد أحدهم عن ثلاث غرف فى داره ولا يتطاولوا في البنيان ؟ في حين أن المسلمين نزلوا بلادا عامرة بالقصور الفاخرة والعجائب النادرة والثروات الطائلة ، فهل يستطيع أن يعيش المسلمون بينهم ، ويحفظون فيهم مكانتهم وهم على هذا النحو الذي أراده عمر من التقشف ورقة الحال

والجواب على ذلك أن عصر عمر ابن الخطاب ، امتاز بالفتوحات العظيمة،والقضاء على ملك الأكاسرة، واستيلاء المسلمين على بلادهم وأموالهم وسلطانهم ، الى جانب ما فتحه الله عليهم من ملك الروم ، فلهذا خشي عمر أن يغيرهم هذا الجاه العريض ، والثراء المفاجيء ، وأن يشغلهم عن ميراثهم العظيم من مبادىء القرآن المجيد واخلاق النبوة ، فكان حريصا على توجيههم والابقاء على تراث الاسلام في نفوسهم ، وأخذهم بالشدة ان اقبلوا على دنياهم ، وتساهلوا في دينهم ، وتخاذلوا عن نصرته .

ولقد ضرب لهم المثل بنفسه في التقشف والزهد والسهر على مصالح الرعية حتى يكون قدوة لغيره ، ولم يكتف بذلك ، بل كان يوجه الأمراء ويرشدهم ويحاسبهم على تقصيرهم ، وقد جعل على كل أمير عيونا يحصون عليه تصرفاته ، حتى كان كل أمير يخشى من أصدقائه أن يكونوا عيونا عليه ، ولهذا كانت تأتيه أخبارهم صباحا ومساء ، وكان علمه بمن بعد عنه من عماله ، كعلمه بمن بات معه على مهاده ، فلهذا استقام عماله على الجادة ، ولم تغرهم الحياة الدنيا في عهده ، ولا غرهم بالله الغرور .

ادرك عمر بسريرته الصافية ، أن ملك الأكاسرة ولى عنهم لتعاليهم على الرعية ، واشتغالهم عنهم بالقصور الفاخرة ، والمصانع الشامخة ، والخيول المطهمة ، والجنود الكثيرة ، والأموال الوفيرة ، غرتهم مظاهر النعمة والجاه ، فسوغوا لأنفسهم استعباد الرعية ، وتسخير الكافة فى توفير لذاتهم وشهواتهم ، فأدال الله منهم للمسلمين ، لأنهم في طاعة الله وهم على حال أخوة وتعاون فيما بينهم ، لاميزة لأحدهم على غيره الا بحسن البلاء ، أكرمهم عند الله وفيما بينهم اتقاهم ، فلهذا وأمثاله خشى عمر أن يغمس سعد بن أبي وقاص ومن على شاكلته من الأمراء أيديهم ونفوسهم فيما انغمس فيه أهل فارس والروم ، فيديل الله من اهل الاسلام لغيرهم كما أدال الله من غيرهم لهم .

ثم ان اتخاذ الأبواب بين الرعية وبين الأمير أمر لا تعرفه عادات العرب ولا طبائعهم ، ولهذا كان المظلوم يدلف الى رئيس قبيلته في الجاهلية ، وأميره في الاسلام ، دون أن يحجبه عنه باب،

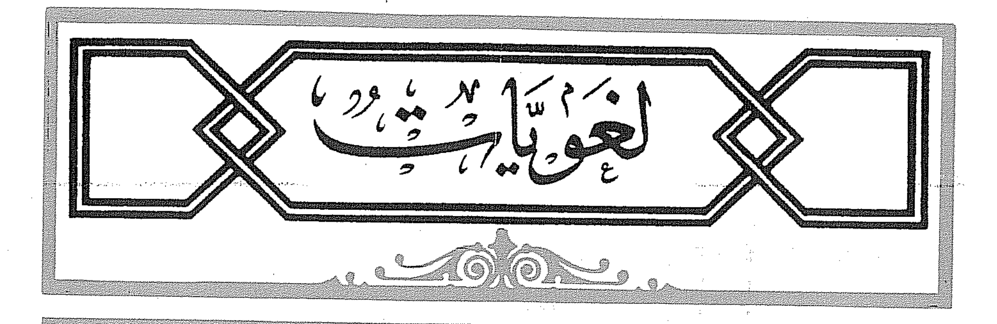
أو يصرفه عنه جندي شاكي السلاح ، فيقص عليه ظلامته فيقضي له بما يراه حقا ، ولقد كان المظلوم يستطيع أن يصل الى عمر بسهولة ولو كان من أهل الكتاب ، فكان ينصفه من عماله وولاته ، قال أنس بن مالك : بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قاعدا اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : ياأمير المؤمنين .هذا مقام العائذ بك ، فقال عمر : لقد عذت بمجيب فما شأنك ؟ قال : سابقت على فرسي ابنا لعمرو بن العاص ــ وهو يومئذ أمير على مصر ــ فجعل يقمعني بسوطه ــ أي يضربني به ــ ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمرا أباه، فخشى أن آتيك فحبسني في السجن ، فانفلت منه وهذا حين أتيتك ، فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص . اذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم ــ أي موسم الحج ــ انت وولدك فلان ، وقال للمصري اقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحج مع ولده ، فلما قضى عمر الحج ــ وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ــ قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة ، قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه ، فلم ينزع حتى احببنا أن ينزع ــ أي يكف عن الضرب ــ من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ، قال : يا أمير المؤمنين. قد استويفت واشتفيت ، قال : ضعها في صلعة عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين . قد ضربت الذي ضربني ، قال : أما والله لو فعلت لما منعك أحد ، حتى تكون انت الذي تنزع ، ثم قال : يا عمرو . متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، فجعل يعتذر عما حدث .

وبعد فقد حرص عمر بن الخطاب ان يبقى لأمراء المسلمين هذا الخلق بعد هذه الفتوح التي ادخلت عليهم الدنيا بزخارفها من أبواب كثيرة ، وخشى أن يقترف سعد ذنب الحيلولة دون أصحاب الحقوق بسكناه فى هذا القصر ، واتخاذ باب يمنع الضعيف عن الوصول اليه والاجتراء عليه ، فكان من أمره معه ما سبق الحديث عنه ، رغبة في بقائه على المنهاج الذي تركه النبي صلى الله عليه وسلم لحكام المسلمين ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فائدة الجنون

خرج الحجاج يوما للتنزه . فلما فرغ من تنزهه صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه ، فاذا هو بشيخ من بنى عجل . فقال له : من أين أنت أيها الشيخ ؟ قال : من هذه القرية . قال : كيف ترون عمالكم ؟ قال: شر عمال ، يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال : كيف قولك فى الحجاج ؟ قال : ذاك ماولى العراق شر منه ، قبحه الله ، وقبح من استعمله . قال: : أتعرف من أنا ؟ قال : لا قال : أنا الحجاج قال : جعلت فداك ، أو تعرف من أنا ؟ قال :لا . قال : أنا فلان بن فلان المشهور بمجنون بنى عجل،أصرع فى كل يوم مرتين .

فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

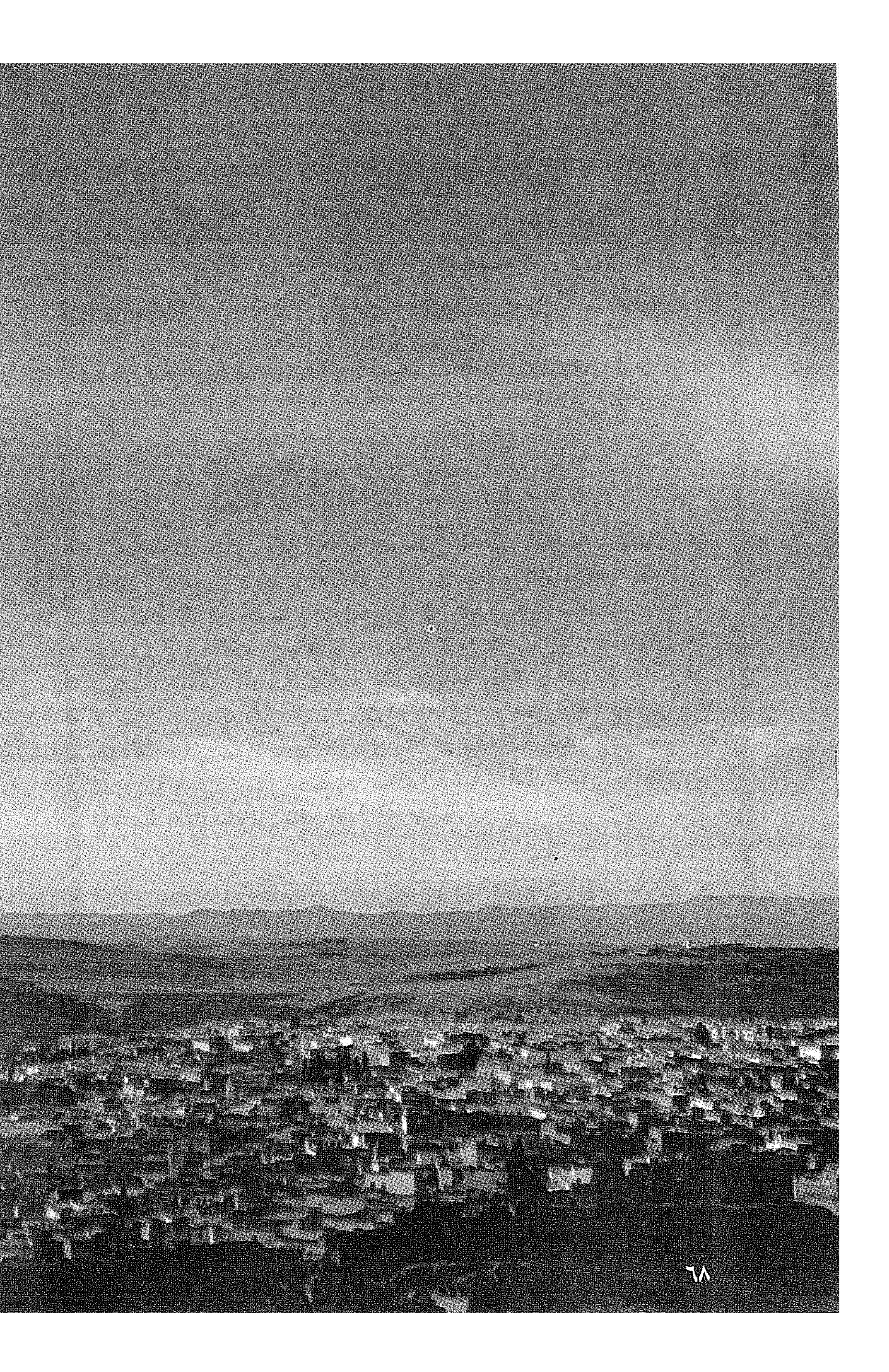


من الاضداد في كلام العرب

من الأضداد : الرجاء فانه يأتي بمعنى الطمع ، كما يأتي بمعنى الخوف ، ومن الأمثلة التي في معنى الطمع قوله تعالى : **(أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه)** وقوله تعالى : **(وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك)** أي تطمع ـ ومن الرجاء الذي بمعنى الخوف قوله تعالى : **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)** وقوله تعالى : **(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله).**

معاني أسماء بعض الأعلام

أكثم : الكبير البطن ، الأعشى : السيء البصر ، الحطيئة : القصير القبيح الوجه ، العقاد : صانع الأزرار والخيوط أو بائعهما ، المبرد : المريض ، النضر : الذهب ، النعمان : الدم ، أوس : عطية ، جرير : زمام دابة ، حنين : مصغر حن وهو نوع من الجن ، دريد : الذي ذهبت أسنانه ، عبلة : سمينة ، عكرمة : انثى الحمام ، نزار : مصدر نزر أي قل خيره ، مازن : مشرق الوجه ، نواس : نسيج العنكبوت .

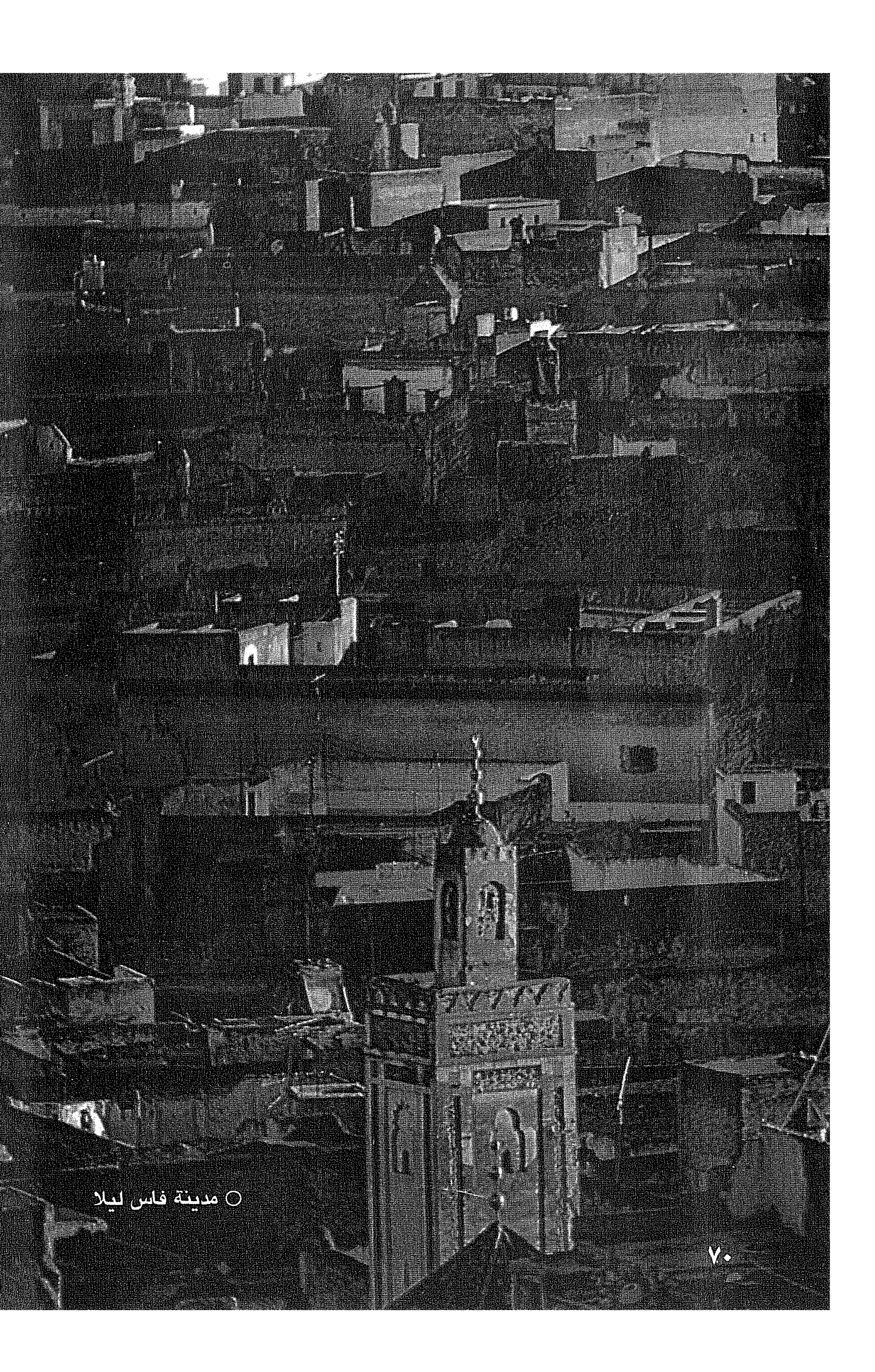


المغرب

قديماً وحديثاً

للاستاذ عبد الغني محمد عبد الله





○ مدينة فاس ليلا

كان وقوع المغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط تجاه أوربا ، سببا في تبادل سكانه حضارة الأمم المجاورة ، إلى جانب أن حضارتهم ، وتقاليدهم العريقة التي يرجع تاريخها الى أيام الفينيقيين الذين عرفوا المغرب قبل ميلاد المسيح بنحو ألف سنة .

وقد قدم الفينيقيون الى تونس عام ٨١٣ قبل الميلاد ، وبعدهم تأسست دولة قرطاجنة في تونس ، وقد انتشر القرطاجانيون في شمال افريقيا الى أن وصلوا الى الشواطئ « المغربية » - الشمالية والغربية حيث أسسوا مراكز تجارية لهم ومحطات لرسو سفنهم ، وكان هدفهم الأساسي منصبا على النشاط التجاري لا غير .

وبعد أن سقطت دولة قرطاجنة سنة ١٤٦ قبل الميلاد على يد الرومان خضع المغرب للحكم الروماني ، الموجه من روما ثم من القسطنطينية . وذلك بعد سقوط روما أمام زحف قبائل الجرمان .

ولما ظهر الاسلام وامتدت فتوحه إلى فارس والشام . تم للعرب فتح مصر ، ومنها امتدت فتوحاتهم الى بلاد المغرب . وقد هيأ تأسيس مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع عام ٥٠هـ للعرب مركزا حصينا . اتخذوه قاعدة لنشر الاسلام في شمال القارة الافريقية وغربها .

لكن عقبة وجد صعوبة في فتح بقية افريقيا لأن « البربر » كانوا يتحصنون في الجبال ويتخذونها معاقل تحميهم من غارات العرب .

إلا أنه استطاع ان يقضي على مقاومة البربر في المغرب الأوسط وتدفق بقواته الى المغرب الأقصى فكان أول فاتح مسلم تطأ أقدامه هذه البلاد ثم توغل في اقليم الساحل حتى بلغ (طنجه) وبدأت قبائل (صنهاجة) بالمغرب تدخل في الاسلام ، وتتصل بالفاتحين ، وتكللت جهود عقبة في نشر الاسلام في المغرب بنجاح .

ثم اتجه بعد ذلك الى اقليم السوس وانتصر على قبيلة (المصامدة) ومضى قدما حتى بلغ مدينة (نول) على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى بلاد المغرب . وكانت قبائل الملثمين تنزل هذه البلاد ، فقاومت عقبة أول الأمر دفاعا عن كيانها ، ولكنه هزمهم ، وأخضعهم لسلطان الاسلام وبني في مدينتهم مسجدا ، ترك فيه من يعلم الناس مبادئ الاسلام ولكن عقبة قتل أثناء عودته في منطقة تعرف باسم (تهوده) - سيدي عقبة بالجزائر الآن . وضاعت افريقيا من المسلمين وارتدت قبائل البربر وزحفت الى الشرق بقيادة زعيمها (كسيلة) . واسترد الرومان قوتهم .

وفي المرحلة الثانية لفتح المغرب جاء (زهير بن قيس) الذي استطاع أن يقتص لمقتل سلفه وحطم قوة البربر والرومان ولكنه استشهد في معركة مع الرومان وضاعت افريقيا للمرة الثانية .



○ الخط العربي المغربي كما يبدو على صفحة مصحف كتب فيها دعاء الخاتمة

○ الساحة الداخلية للمسجد الكبير بمدينة فاس




○ سوق الحرير

ثم خلف (زهير) (حسان بن النعمان) ، وكان حريصا على نشر الدين فكسر شوكة الروم ، الذين قويت عزيمتهم بعد مقتل زهير وانبعث فيهم الأمل في استرداد بلاد المغرب من أيدي المسلمين . فقاتلهم حسان قتالا مريرا ، وأنزل بهم الهزيمة الساحقة كما استطاع أيضا أن يهزم قوات البربر الذين اجتمعوا تحت لواء امرأة عرفت بالكاهنة (واهية بنت ماتيه بن تيغان ملكة اوراس) والتي كانت قد استطاعت هزيمة حسان في معركة (نهر البلاء) إلا أنه استطاع أن يهزمها هزيمة ساحقة سنة ٨٠هـ ـ ٦٩٩م ـ ولا يزال المكان الذي قتلت ودفنت فيه يعرف باسم بئر الكاهنة . وهكذا دان المغرب الأدنى والأوسط كله لحسان بن النعمان بعد أن استطاع أن يطرد الروم نهائيا من قرطاجنة سنة ٨٢هـ ـ ٧٠١م .

وبدأت مواهب حسان تظهر في نشر الاسلام وفي تدوين الدواوين باللغة العربية . وقد ساوى بين العرب والبربر ، وكادت تفتح على يديه صفحة جديدة في تاريخ المغرب الاسلامي ، ولكن القدر عانده فخلع من منصبه وخلفه موسى بن نصير .

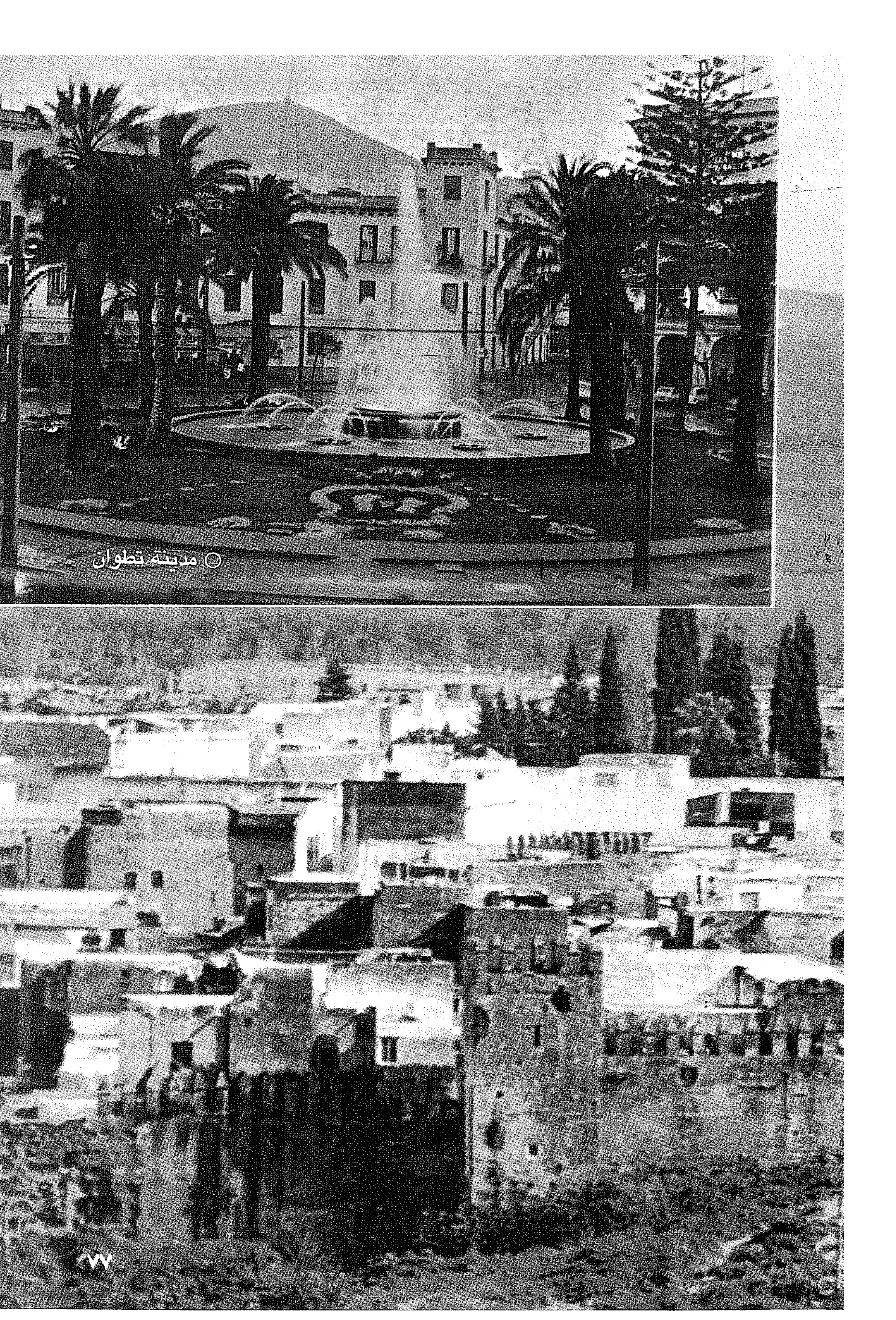
ولم يكن موسى بن نصير ـ الذي قاد المرحلة الرابعة والأخيرة في فتح شمال افريقيا ـ لم يكن قائدا فحسب ، بل كان مصلحا وسياسيا أيضا ، فقد قرب البربر اليه ، وحببهم في الحكومة الاسلامية وولاهم الأعمال واشركهم مع العرب في ادارة البلاد ، فأقبلوا على الاسلام اقبالا شديدا . وأخذ موسى يفقه الناس في الدين وينشئ المساجد في البلاد التي يفتحها . ولقد اتيح للبربر أن يجنوا ثمار الثقافة الاسلامية بعد ذلك .

ولعل من اهم أعمال موسى بن نصير أنه في أول الأمر قد توجه لفتح (طنجة) آخر معقل اعتصم به بقية البربر وافتتحها وولى عليها جنديا عظيما هو طارق بن زياد . ثم انه بنى دارا لصناعة السفن على مقربة من مدينة قرطاجنة وأنشأ أسطولا ضخما لحماية الثغور الاسلامية من غارات الرومان البحرية . الا أن من أعظم أعمال موسى هو فتح الأندلس سنة ٩٢هـ بعد ان وجه اليها حملة بقيادة طارق بن زياد . وكان فتح الأندلس فتحا للاسلام في المغرب والأندلس معا . ذلك أن معظم الجيش الذي فتح هذه البلاد كان من البربر . وقد شعر البربر لأول مرة بمساواتهم بالعرب .

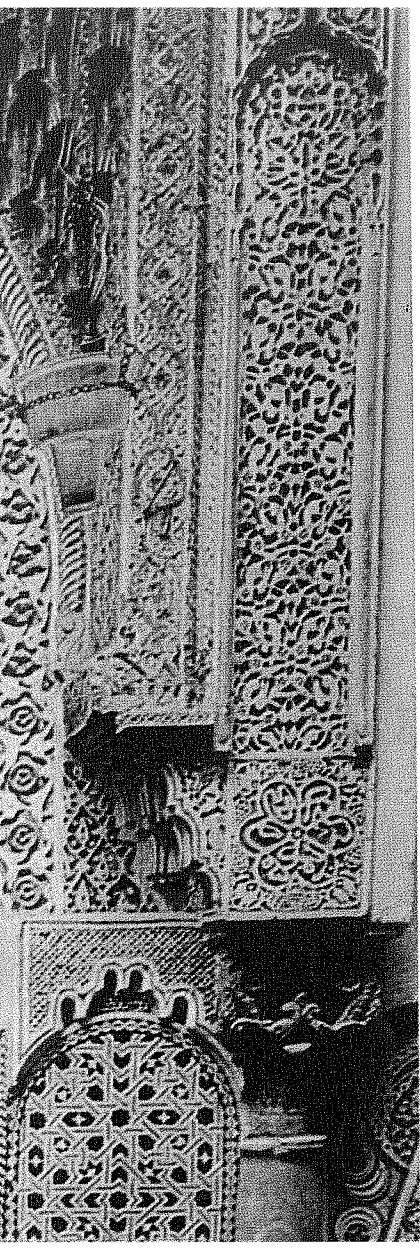
وبدأت شخصية المغرب الاسلامي تدخل في دورها الفعال . اذ شعر البربر بعد فتحهم الأندلس ، أنهم اضحوا حماة الاسلام في هذه البلاد . وأن عليهم مهمة نشر هذا الدين .

وقد نجحت سياسة موسى بن نصير نجاحا بعيد المدى فانقاد له المغرب

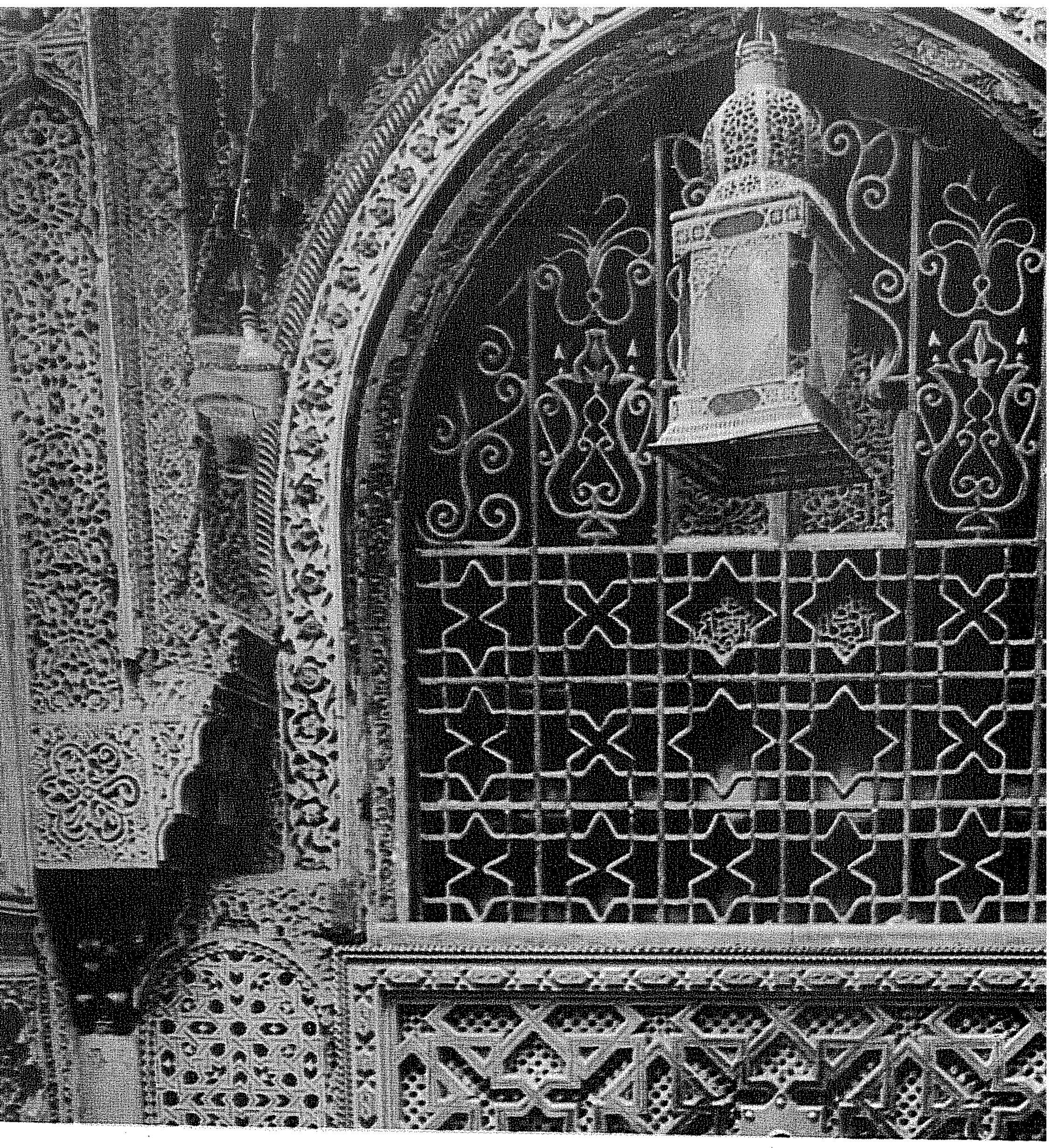




○ مدينة تطوان



الأقصى بشعوبه وقبائله ، وأخذت قبائل البربر تتدفق إليه حبا في الجهاد .
ومن ذلك الوقت نستطيع أن نقول أن الاسلام قد توطدت أركانه في بلاد المغرب الأقصى ، وأنه بسط ظله على السكان وأن التحالف قد تم بين العرب والبربر ، وكانت هذه خطوة هامة في سبيل تدفق الاسلام الى غرب افريقيا .
وقد حرص الخلفاء على اختيار طائفة من الفقهاء ، ليعلموا البربر فرائض الاسلام ، ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم وأظهر بعض ولاة المسلمين ولا سيما الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز حماسة في اعلاء شأن الاسلام فقد أرسل مع واليه على شمال افريقيا عشرة من الفقهاء ليفقهوا مسلمي المغرب .
على أن ثقة البربر بالدولة الأموية بالمشرق قد تزعزعت بسبب تسرب بعض فرق الخوارج كالأباضية بينهم ، وقيامهم بنشر الدعاية ضد الحكم الأموي .
وفي العصر العباسي الأول ١٣٢/٢٣٢هـ . غدا شمال افريقيا مسرحا للفتن والقلاقل مما أدى الى قيام بعض زعماء البربر بالاستقلال عن الدولة العباسية وتأسست في المغرب ولايات مغربية مستقلة . وفي سنة ١٨٢هـ ـ حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي قامت دولة الأدارسة على يد المولى (إدريس بن عبد الله) الذي قدم من الشرق أثر الخلاف مع العباسيين . فاتجه الى المغرب مارا بليبيا فتونس فالجزائر . حيث أسس دولة الأدارسة التي حكمت أكثر من قرنين . وقد عملت هذه الدولة جهدها على نشر الاسلام في ربوع هذه البلاد . وقد جاوز نفوذ الأدارسة منطقة المغرب الأقصى الى



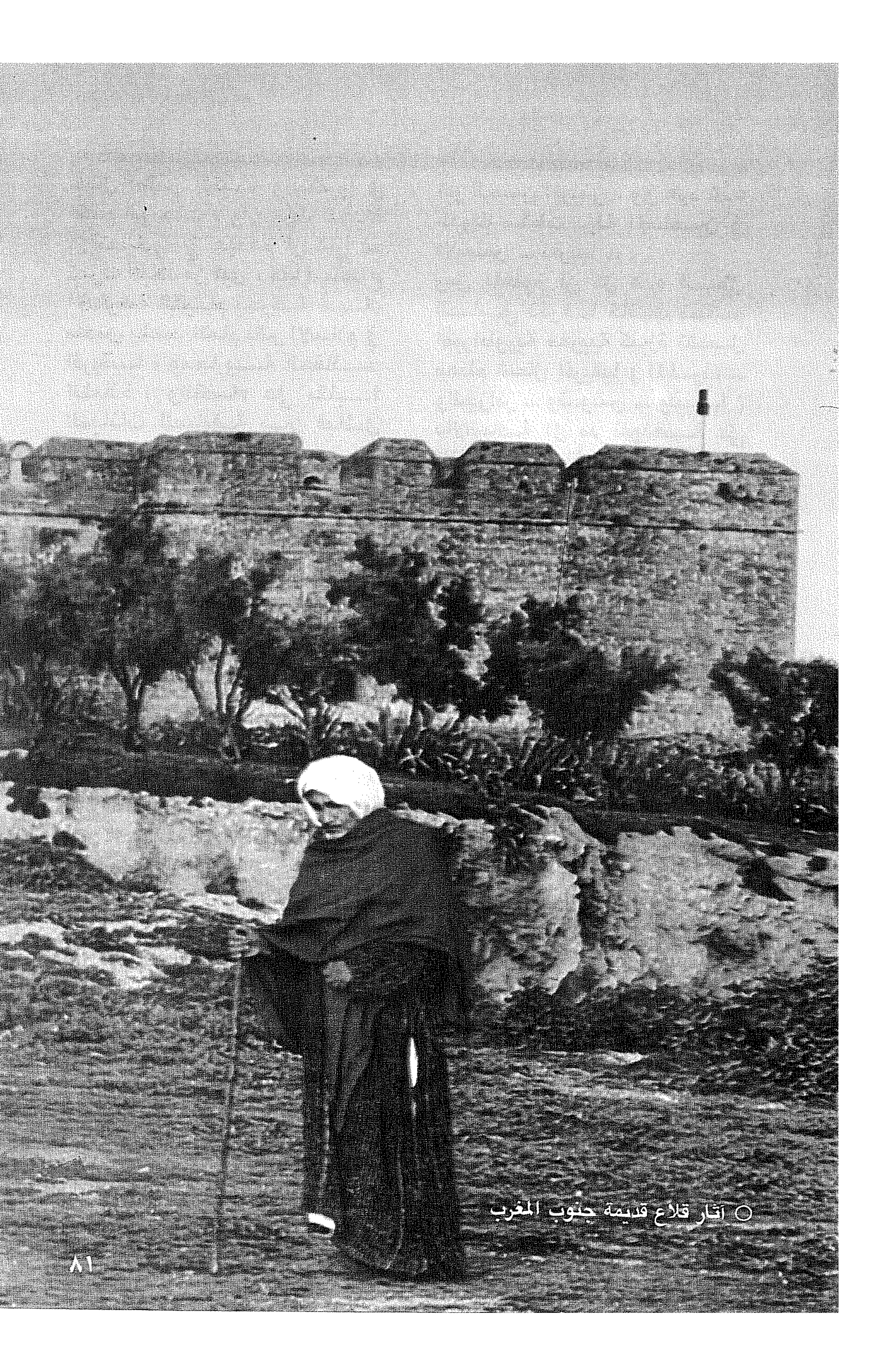
○ داخل مسجد مولاى ادريس

الصحراء الكبرى . وكان تأسيس مدينة (فاس) على يد ابن مولاى إدريس فاتحة عهد جديد في تاريخ الثقافة العربية في المغرب الأقصى ، فقد أصبحت هذه المدينة التي أسسها الأدارسة ، مثابة للعلم يقصدها العلماء والتجار من كل

حدب وصوب ، وأخذت معاهدها تنشر الدين الاسلامي واللغة العربية في تلك البلاد ، وقد بلغت هذه الثقافة التي كانت تشع من مدينة فاس الى ديار الملثمين ، لأن الأدارسة بسطوا نفوذهم على البلاد كلها تقريبا ، وتخطى نفوذهم



○ القرميد الأخضر المستعمل في تغطية
اسطح المساجد والمنازل



○ آثار قلاع قديمة جنوب المغرب

جبال أطلس الكبير وانتشروا في اقليم الواحات ، وازدهرت الحياة الاقتصادية في عهدهم ازدهارا لم تعرفه البلاد من قبل ، كما استطاع الأدارسة القيام بحركة جهاد مقدس بقصد اتمام نشر الاسلام في افريقيا ، ومحاربة العقائد الشاذة ، والقضاء على بقايا الديانات السابقة بين قبائل المغرب .

وفي سنة ٤٦٦هـ ـ ١٠٥٦م ـ انهارت دولة الأدارسة . وحكم بعدهم (المرابطون) وتعتبر أول دولة وحدت المغرب الأقصى والأوسط . وقامت بدور خطير في نشر الاسلام على الساحل الافريقي الغربي . ويجمع المرابطون في المغرب بين الجهاد والثقافة الدينية معا . وقد أسس هذه الدولة يوسف بن تاشفين الذي أعاد فتح الاندلس بعد انتصاره في معركة الزلاقة عام ١٠٨٥م . وقد دام حكم هذه الدولة لبلاد المغرب حوالي ٩١ عاما .

وفي سنة ١١٢١م ظهرت دولة الموحدين التي يرجع أصلها الى جنوب المغرب وقضت على دولة المرابطين ، وكان أشهر ملك فيها هو يعقوب المنصور الذي أعاد هيبة المسلمين الى الأندلس . وكان ذلك في معركة العقاب المشهورة .

وفي سنة ١٢٦٩م قدم (بنومرين) من الجنوب المغربي . وأسسوا دولة بني مرين . على أنقاض دولة الموحدين وكان أشهر ملك فيها هو أبو الحسن المريني . وفي عهد هذه الدولة سقطت دولة المسلمين في الأندلس ـ تقريبا ـ .

ومن المعلوم أن كل هذه الدول السابق ذكرها كانت تحكم امبراطورية مغربية كبيرة تشمل معظم شمال افريقيا (المغرب ـ والجزائر ـ وتونس ـ وليبيا) بالاضافة الى مد نفوذها على الأندلس قبل سقوطها في يد الأسبان والصليبيين .

وفي مستهل القرن الرابع عشر الميلادي تأسست دولة السعديين بعدما تغلبت على دولة بني مرين . وهي دولة ذات أصل مغربي كبقية الدول السالف ذكرها . ويعتبر الملك المنصور أعظم ملك فيها . وقد أمتدت امبراطوريته في الجنوب الى نهر السنغال .

وفي بداية القرن السادس عشر الميلادي تأسست دولة العلويين بعد انهيار دولة السعديين . وقد قدم العلويون من جنوب المغرب ، ويعتبر السلطان المولى اسماعيل أحد كبار السلاطين العلويين ، ولا زالت هذه الدولة تحكم البلاد الى يومنا هذا .

وفي سنة ١٩١٢ م بسط الفرنسيون حمايتهم على المغرب وكان ذلك في عهد السلطان المولى عبد الحفيظ ، وفي سنة ١٩٥٦ م اعلن استقلال المغرب وأصبحت دولة حرة مستقلة تحت اسم « المملكة المغربية » .

للموضوع بقية في العدد القادم



للاستاذ/محمد المجذوب

لم أستغرب زيارته ، لانها ليست الأولى ، ولعلها لا تكون الأخيرة ، فالرجل من أبناء بلدي الأول ـ طرطوس ـ وقد عرفته منذ كان عاملا في مزارع الآغا علي ، ينقل نتاج مزارعه الكثيرة الى السوق في تلك العربة التي قلما رئي منفصلا عنها ، حتى باتت فرقعة سوطه فوق عنق البغل الذي يجرها ، فارقا مميزا يعرفه به سامعوه من قبل ان يطل عليهم ..

وقد اعتاد معاودة الحج في كل موسم منذ عدة سنوات ، ولا ينسى ان يجدد صلته بي كل مرة قدم فيها لزيارة المسجد النبوي ، أثناء مروره الى البلد الحرام ، أو عودته منه في الطريق الى الشام .

ولا انسى كذلك أن استوضحه عن أحوال بلده الذي فارقته قبل أربع وعشرين سنة ، وعن مصير بعض الناس ، وبخاصة الذين كان يعمل في خدمتهم ، فيتبسط في الجواب بما يوقظ الذكر ، ويثير العبر .. ولا سيما بالنسبة الى الآغا ، الذي أخبرني انه ملازم بيته منذ قيام الحكم الذي جرده من معظم أملاكه .

وقال زائري وهو يعيد كأس الشراب الى المنضد : الأغا يسلم عليك .. وسرعان ما ردتني هذه العبارة الى حديث الموسم الماضي ، فوصلت ما بين المناسبتين ، ولم أتمالك أن أسأله : أولا يزال حبيس بيته ؟.. فأجاب : لاول مرة منذ عشر سنين يغادر منزله .. ولكن .. الى الحج ..

وأرسل كلماته الأخيرة في تقطع كأنه يختبر أثرها في نفسي .. فلم أتمالك ان صحت : الى الحج ؟! وأردف ببساطته المألوفة : الى الحج . وهو رفيقنا ، وينزل معنا على مقربة من المسجد النبوي .. وقد حملني تحياته اليك ، وأنبأني انه يود القيام بزيارتك لولا الارهاق الذي يعانيه ..

وما أدري كيف استطاعت هذه العبارات ان تصرفني عن متابعة الحديث لأدع لبصري ان يتأمل أناملي وهي تحرك القلم على الورقة التي كنت قد بسطتها على مكتبي ، دون ان أخط به شيئا يقرأ .

لقد وجدتني فجأة تلقاء ألواح شتى من صور لا أعلم اين كانت تختبئ ، ومن أين جعلت تتسرب ..

❊ ❊ ❊

بدأ ذلك بنهاية الحرب العالمية الأولى ، يوم وطئت أقدام الفرنسيين شاطئ طرطوس الذي طالما تطلعوا الى اقتحامه ، وكثيرا ما حاولوا التسلل اليه ، من أرواد التي استطاعوا ان يفرضوا سلطانهم عليها منذ بداية الحرب ، فتردهم بنادق الجنود الذين عهد اليهم بحراسته ، حتى ليصبغوا ، الأمواج بدمائهم ، على الرغم من تفوقهم على هؤلاء الحراس بالحديث عن هروب الاسلحة التي ما كان جنود الدولة العثمانية ليحلموا بامتلاكها ، الا ان سقوط الجبهة التركية بعد انهيار حلفائها من الالمان ، قد فتح الطريق أمام الفرنسيين ، فتدفقوا على الشواطئ الشامية وما وراءها كالوباء الكاسح . وكان ذلك منعطفا جديدا في حياة الشام كلها ، وبخاصة طرطوس ، تلك البليدة الساذجة ، التي تأخرت عن ركب الحياة منذ قرون ، فلم يبق فيها من آثار الحضارة سوى الاطلال التي تمتزج فيها مخلفات الفينيقيين بأسوار الصليبيين ، لترسم الأهمية التاريخية التي يمثلها هذا الثغر ، مع الجزيرة المقابلة له ، في نظر هؤلاء وأولئك .

كانت طفرة واسعة تلك النقلة التي واجهتها طرطوس من خلال ذلك الاحتلال .. فليس بالأمر السهل أن يقفز الناس من نطاق الحرمان والجوع وأزيز القذائف الهابطة عليهم من قبل الزوارق الفرنسية بين الحين والحين .. الى منطلقات الرخاء والعمل والمشاهد الاجتماعية الجديدة التي حملها اليهم ذلك الاحتلال ..

لقد شرع كل شئ يتغير ..

هذه الفرق الراقصة .. من أين سقطت على طرطوس ، فلا تكاد تودع واحدة حتى تستقبل الأخرى !.

هذه الخمارات .. كيف برزت هنا وهناك .. وأين كانت من قبل !..

أمن هنا إذن كان ذلك الشقي المسكين (يوسف الكعاك) يحصل على زاده من الخمر عصر كل يوم ، فلايزال به حتى يفقده الوعي ، فيتراكض اليه

الصغار يرجمونه بالحجارة حتى يلقي بنفسه في البحر !..

ولكن عهد الكعاك هذا قد انطوى الى غير رجعة ، وها هي ذي قطعان الشباب الفارغ من أبناء الأغوات واشياعهم ينطلقون وراء هذه المفاتن دونما رادع ولا زاجر ..

* * *

ويتركز بصري من خلال هاتيك الصور على ذلك الفتى الذي كانت فورته الصاخبة في هذا المسلك سببا في جر الكثير من أشباهه اليه ..

لقد اقبل هؤلاء في اندفاع ضرير على ممارسة كل ما كان يعد من المنكرات في نظر آبائهم ، حتى المخدرات التي لم يسمع بها الناس في هذا البلد قط قد اتخذوها عملا يوميا ، يجتمعون عليه في الدور أو الحقول ، فاذا ما اخذتهم الغمرة انطلقوا في الشوارع يعربدون ويصخبون ، دون أن يجرؤ احد على معارضتهم أو نصيحتهم .. وسرعان ما ألف السكان هذا التصرف ، حتى بات من المغريات التي تستهوي المراهقين من ابناء الفقراء والأغنياء على السواء ..

وها هم أولاء .. إني لألمح طيوفهم من وراء السنين ؟!..

شباب يستبيحون كل شيء في سبيل هذه المغويات .. حتى بيع المأمول من تركات آبائهم الذين لم يموتوا بعد ..

مرابون ظماء يلهثون وراء هؤلاء ، ليمدوهم بكل ما يعوزهم ، مقابل توقيعهم على أسناد بيضاء يملئونها بما يشاؤون ..

أغرار يتنافسون على التفاهات ، حتى ليشعل أحدهم دخينة الراقصة باحراق ورقة الخمسين جنيها .. وهو يعلم أولا يعلم أن الجنيه الواحد يفوق قيمة الدينار الذهبي !..

ثم .. ماذا ؟!.

ثم هذا الفتى ..

لقد مات والده المزارع المتواضع .. فقبض على ثروته كلها .. وفرض وصايته على ورثائها جميعا ، فله أن يفعل بها ما يشاء ..

لم يكن الفتى غبيا .. ولكنه وضع كل طاقاته في خدمة الشيطان ..

لقد تعلم من تجاربه اليومية أن للمال سلطانه المطلق ، به يحقق متعته ، وبه يسيطر على شركائه في هذه المتع .. وبه يسخر قوة المسئولين عن الأمن لحماية كل ما يمكن ان يقوم به من عدوان .

وها هو ذا يبسط يديه على الكثير من العقارات التي تجاور أملاكهم .. والويل لأصحابها اذا هم اعترضوا سبيله !..

ولكن أبناء طيارة وحدهم يرفضون سلطانه على أملاكهم .. وها هم أولاء في ساحة البلد ، يصرخون بالرفض .. على الرغم من العصى التي تصبها

عليهم أيدي المرتزقة ، الذين استأجرهم الأغا لهذا الغرض ..
وما أهوله منظرا .. ذلك الذي أشاهده في هذه الساحة !..
انه طوني اللبناني ، الذي جاء به الأغا خصيصا لمثل هذه الملحمة .. أنه ليشهر مسدسيه بكلتا يديه ، ويصوبهما نحو هؤلاء ، الذين جرؤوا على التشبث بحقهم في أملاكهم التي يريدها صاحبه !.
وما أغربه مشهدا .. أن يستمر هؤلاء الرافضون في تظاهرتهم لا يصدهم وقع العصي ، ولا يخفت أصواتهم قرب المسدسات من صدورهم !..

* *

وبغتة ينقطع شريط هذه التصورات لاستمع الى صوت زائري وهو يقول :
ان الطرطوسيين يترقبون زيارتك كما عودتهم في كل موسم .. وانهم لمجتمعون كلهم في بناء واحد قريبا من باب السلام .
قلت : تلك فرصة طيبة لرؤيتهم والاطمئنان على أحوالهم ..
ومضيت بزائري الى السيارة ليدلني على مقر القوم .
وفي غرفة بسيطة وجدت الرجل الذي أثار ذكرياتي فقفز بي فوق حواجز نصف قرن من الزمان ..
كان متجمعا على أحد المفارش المطاطية ، وقد القى عليه أحد الأغطية فلم يبد لي سوى وجهه ، الذي لا يبرح محتفظا بملامحه الفارقة على الرغم من أعباء الثمانين ، عيناه الواسعتان الشهلاوان ، وبشرته البيضاء الوردية ، وأنفه الذي يتميز بشكله الأقنى سائر أبناء أبيه . ثم جاء صوته الذي انطلق يرحب بي في نبرته التي تمزج الخشونة بالنعومة ..
وحاول أن ينهض على قدميه وهو يرد تحيتي بأحسن منها ، فأبيت عليه ، وأسرعت للجلوس بجانبه .. وجعل يسمي لى من معه من أهله .. وشد ما أسعدني منظر زوجه ، التي كانت أنموذج الترف في طرطوس ، وقد احتوتها الشيخوخة ، وأكبت على خدمته تمسح وجهه ، وتقدم اليه القهوة ، وتصلح وضع الوسادة وراءه ..
حتى شعره لم يختلف على منظره ، الا استطالته اكثر مما ألفت ، والا لونه الذي استقر على البياض .. وحتى اهماله اياه على هذه الصورة التي تواجه عيني ، لم يكن جديدا علي ، فما أذكر أني رأيته قط معنيا بترجيله وتصفيفه كما يفعل أقرانه ، ولعل هذه هى الميزة الوحيدة التي ورثها من طبيعة والده ، الذي كثيرا ما كنت أشاهده جالسا على حافة الرصيف هنا أو هناك ، حيث وجد حاجة للجلوس مع ذوى العلاقة به ، فاذا ما فرغ من أمرهم نهض ونهضوا ينفضون سراويلهم من آثار التراب .. وها أنذا أراه الآن على الطريقة نفسها التي لم يستطع عنها فكاكا حتى أيام قوته ، يرسل

نفسه على سجيتها ، فلا تصنع ولا تكلف .

وأشعل الدخينة من عقب أختها ، وغلبه السعال ثم مسح فمه بالمنديل الورقي ، وجعل يقول وهو يشير الى دخينته الملتهبة : انها الوحيدة التي بقيت من أوزار الماضي ..

قلت : ولعل الله يريحك منها أيضا ..

وتساءلت في نفسي : أحقا لم يستبق من أوزار الماضي سوى هذه الدخينة ؟.. وهل يعقل ان يفارق الحشيش ، وهو الذي به عرف ، وعنه انتشر في طرطوس !!

ورأيت صدره يرتفع وينخفض ، وهو يرسل مثل الحشرجة المتقطعة .. ومع ذلك لا ينفك يرفده بالدخان الذي يعود الى امتصاصه بين الفينة والفينة ..

ودعوته ومن معه للغداء فاعتذروا .. فلم يبق الا أن أحملهم بالسيارة لأمر بهم على المشاهد التي تتصل بتاريخ الاسلام .. وساعدته زوجه الوفية حتى استقر على المقعد المجاور لي .. ومن ثم انطلقت بهم نحو أحد ، فسلع ، فالمساجد السبعة ، فبئر رومة .. حتى انتهينا الى مسجد قباء الذي تعدل الصلاة فيه عمرة .. وكنت أقص عليهم ذكرى كل واحدة من هذه البقاع الناطقة بأنباء الوحي والمجد ..

وكان الوقت قد قارب الزوال ، وأوشك الأذان أن يرتفع لصلاة الظهر ، عندما وقفت بهم مقابل باب عمر من المسجد النبوي ..

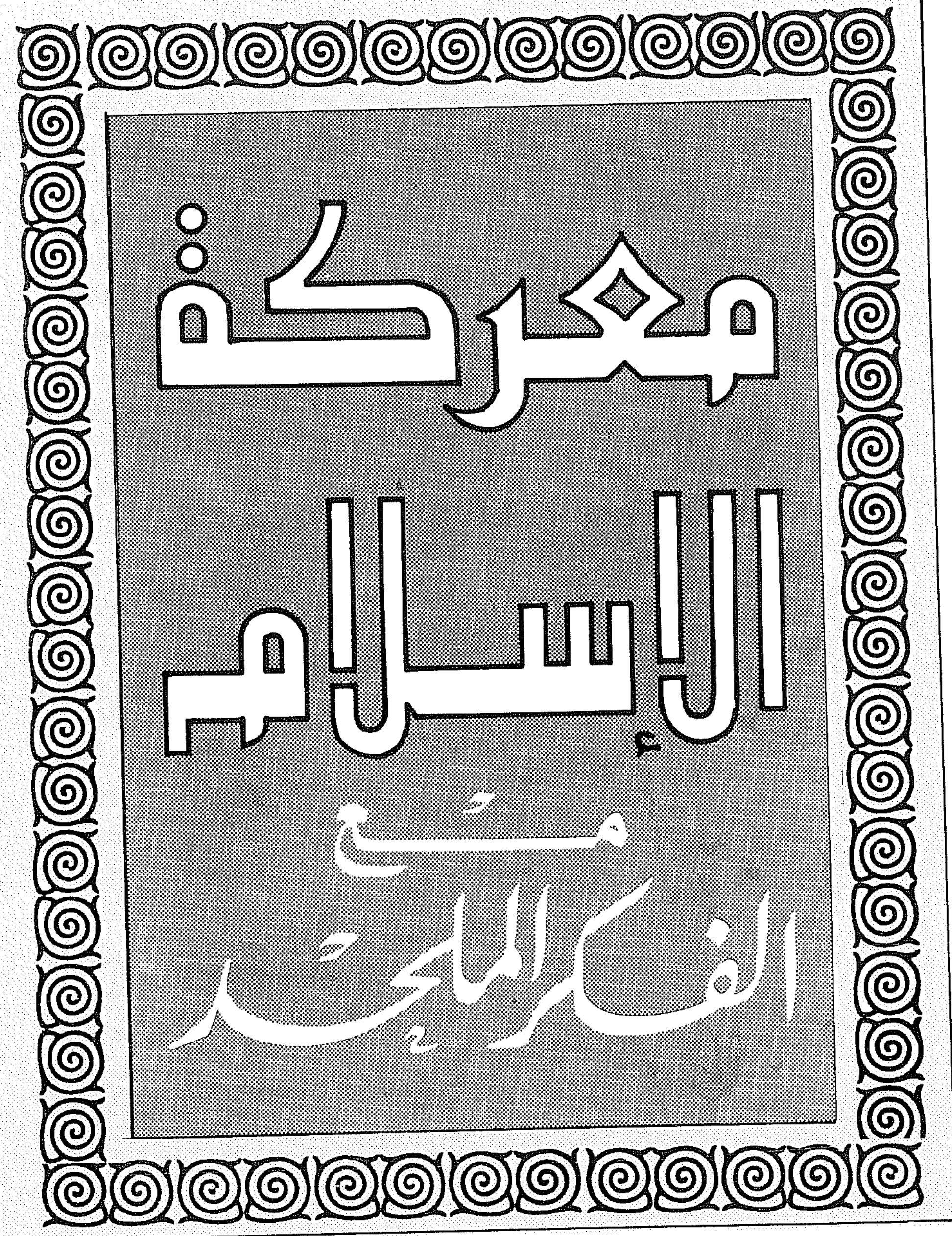
وهبطت النسوة الثلاث من المقعد الخلفي ، ثم أقبلن نحو الرجل يساعدنه على النزول .. وكأنه كان في معزل عما حوله تماما ، فما إن فتح له الباب حتى تنبه الى شأنه ، فنظر الي بعينين مغرورقتين ، وجعل يتمتم بكلمات الشكر ، في لهجة لم يستطع تصفيتها من وهج الانفعال ، ثم قال وكأنما يخاطب نفسه : ما اكثر ذنوبي .. وما أثقلها من ذنوب !!..

وأطرق قليلا ثم تابع : ترى .. هل لمثلي من أمل بعفو الله ؟ـ!

وكدت أقول له : لابد أولا من رد المظالم الى أهلها ..

ولكني تذكرت ان الاشتراكية قد التهمت كل شيء ، فلم تدع لمثله حلالا ولا حراما يتسع لأداء الحقوق ..

وسرعان ما وثبت الى ذهني هنا تلك الصورة الأخرى لهذا الرجل .. صورته وهو يوزع على فقراء بلده حصصهم من الزيت ، في كل موسم يطل عليه من خلال الغابات الواسعة التي يسيطر عليها من حقول الزيتون ، فلا يتصرف بشيء منها قبل أن ينال كل محروم نصيبه من ذلك الخير .. فلم أتمالك أن آخذ بيده أشق له الطريق الى المسجد ، وأنا أتلو على مسمعه قول الله : (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ..) الزمر/٥٣ .


معركة
الإسلام
مع
الفكر الملحد

للدكتور : محمد أحمد العزب

ـ ١ ـ

قضية القضايا في كل دين هي الايمان بوجود الله ، وما عداها يتفرع عنها وينبثق منها ، لأن الايمان بوجود مصدر كلي شامل يستتبع الايمان بكل مفردات الظاهرة الوجودية ، وفي الاسلام بخاصة يتميز وجود الله بمنطق طبيعي لا يصادم في جزئية من جزئياته سواء الطبيعة ولا منهج الفطرة ، ولذلك . فان براهين هذا الوجود تبدو على جانب قطعي من اليقين والجزم ومعقولية المقولات .. فالله من الوجهة الاسلامية واجب الوجود لذاته ، ومتصف ـ ضرورة ـ بالقدم والبقاء ونفي التركيب .

ـ ٢ ـ

هو واجب الوجود لذاته تأسيسا على قطعية برهان الخلق .. « وخلاصته أن الموجودات لا بد لها من موجد ، لأننا نرى كل موجود منها يتوقف على غيره ونرى غيره هذا يتوقف على موجود آخر دون أن نعرف ضرورة توجب وجوده لذاته ، ولا يمكن أن يقال إن الموجودات كلها ناقصة وأن الكمال يتحقق في الكون كله ، لأن هذا كالقول بأن مجموع النقص كمال ، ومجموع المتناهيات شيء ليس له انتهاء ، ومجموع القصور قدرة لا يعتريها القصور . فاذا كانت الموجودات غير واجبة لذاتها فلا بد لها من سبب يوجبها ولا يتوقف وجوده على وجود سبب سواه .. ويسمى هذا البرهان في أسلوب من أساليبه المتعددة : ببرهان المحرك الذي لا يتحرك ، أو المحرك الذي أنشأ جميع الحركات الكونية على اختلاف معانيها ، ومنها الحركة بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان ، والحركة بمعنى الانتقال من حال إلى حال ، والحركة بمعنى الانتقال من حيز الامكان إلى حيز الوجود ، أو من حيز القوة إلى حيز الفعل . وفحوى البرهان أن المتحرك لا بد له من محرك ، وأن هذا المحرك لا بد أن يستمد الحركة من غيره ، وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرك واحد لا تجوز عليه الحركة لأنه قائم بغير حدود من المكان أو الزمان ، وهذا هو « الله » .

ـ ٣ ـ

وهو متصف ـ ضرورة ـ بالقدم والبقاء ونفي التركيب « لأنه لو لم يكن كذلك لكان حادثا ، والحادث ما سبق وجوده بالعدم ، فيكون وجوده مسبوقا بعدم ، وكل ما سبق بالعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود ، وإلا لزم رجحان المرجوح بلا سبب ، وهو

محال ، فلو لم يكن الواجب قديما لكان محتاجا في وجوده إلى موجد غيره ، وقد سبق أن الجواب ما كان وجوده لذاته ، فلا يكون ما فرض واجبا واجبا ، وهو تناقض محال . ومن أحكامه أن لا يطرأ عليه عدم وإلا لزم سلب ما هو للذات عنها ، وهو يعود إلى سلب الشئ عن نفسه وهو محال بالبداهة ... ومن أحكامه أن لا يكون مركبا ، إذ لو تركب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته التي هي ذاته ، وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة ، فيكون وجود جملته محتاجا إلى وجود غيره ، وقد سبق أن الواجب : ما كان وجوده لذاته ، ولأنه لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفا على الحكم بوجود أجزائه ، وقد قلنا إنه لذاته من حيث هي ذاته ولأنه لا مرجح لأن يكون الوجوب له دون كل جزء من أجزائه بل يكون الوجوب لها أرجح فتكون هي الواجبة دونه .. ونفى التركيب في الواجب ، شامل لما يسمونه حقيقة عقلية أو خارجية ، فلا يمكن للعقل أن يحاكى ذات الواجب بمركب ، فان الأجزاء العقلية لا بد لها من منشأ انتزاع في الخارج ، فلو تركبت الحقيقة العقلية لكانت الحقيقة مركبة في الخارج ، وإلا كان ما فرض حقيقة عقلية اعتبارا كاذب الصدق لا حقيقة .. وكما لا يكون الواجب مركبا ، لا يكون قابلا للقسمة في أحد الامتدادات الثلاث : أي لا يكون له امتداد ، لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول ، وصار إلى وجودات متعددة وهي وجودات الاجزاء الحاصلة من القسمة ، فيكون ذلك قبولا للعدم أو تركبا وكلاهما محال كما سبق » .

ـ ٤ ـ

وهكذا يلوح الفكر العقيدي في قضية وجوب الوجود فكرا متوازن المنطق ، صحيح المقدمات والنتائج ، بحيث يبدو الفكر الملحد إلى جواره عبثا من العبث وتجديفا بلا جدوى ، لأن هذا الفكر الملحد في تطوافه العابر أو المتأنى حول هذه القضايا ، لا يتصدى لبناء منهج فكري متوازن الأبعاد والأعماق ، ولكنه يتكئ على منطق الرفض الذي يطيقه الصغار ، فلا يكلف أحدهم نفسه غير أن يقول : « لا » في وجه كل : « نعم » ... وإذا كان الفكر العقيدي في مواجهة هذا الفكر العابث يحرص على بناء مقولاته بناء فلسفيا ملتزما بأخلاقيات المنهج العلمي ، فلأن لديه ما يحرص عليه من قضايا حقيقية يريد توصيلها الى الناس .. ولأن ما لديه من هذه القضايا يمتلك اقتدارا ذاتيا على العطاء والاتساق ، وإقامة بناء فلسفي يدعم مضامينه الخالدة في مواجهة أعتى الرياح وأعتى التحديات .

ـ ٥ ـ

فاذا تأكد بالبرهان الجازم واليقين القطعي أن الله واجب الوجود لذاته ،

وأنه متصف ـ ضرورة ـ بالقدم والبقاء ونفي التركيب ، استتبع ذلك على الفور قضية أخرى هي قضية وحدانية الواجب ، وقد حسم القرآن الكريم هذه القضية بنوع من الاستدلال المنطقي القاطع فقال : **(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)** (الأنبياء/٢٢ وقال : **(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)** المؤمنون/٩١ وقال :**(أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)** يوسف/٣٩ .. وقد سمى علماء التوحيد هذا البرهان ببرهان التمانع ، وقد اختلفوا فيه ، ولكنه اختلاف لا موجب له مع فهم البرهان على معناه الصحيح الذي لا ينبغي أن يطول الجدل عليه كما يقول العقاد .

« وصواب الأمر أن وجود إلهين سرمديين مستحيل ، وأن بلوغ الكمال المطلق في صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال آخر في تلك الصفة ، وأن الأثنينية لا تتحقق في موجودين كلاهما يطابق الآخر ولا يتمايز منه في شيء من الأشياء ، وكلاهما بلا بداية ولا نهاية ولا حدود ولا فروق ، وكلاهما يريد ما يريده الآخر ويقدر ما يقدره ويعمل ما يعمله في كل حال وفي كل صغير وكبير ، فهذان وجود واحد وليسا بوجودين ، فاذا كانا اثنين لم يكونا إلا متمايزين متغايرين ... فلا ينتظم على هذا التمايز والتغاير نظام واحد ، وإذا كانا هما كاملين ، فالمخلوقات ناقصة ، ولا يكون تدبير المخلوق الناقص على وجه واحد بل على وجوه .. وعلى هذا : فبرهان القرآن الكريم على الوحدانية برهان قاطع ، وليس ببرهان خطاب أو إقناع ... وشأن القرآن في عالم الدين والعقيدة معروف ، وهذا شأنه في عالم الحكمة الالهية إذ يتناول وجود الله ووحدانية الله » .

ـ ٦ ـ

ومتى استقرت في أخلاد الأجيال قضيتا وجود الله ووحدانيته ، فكل قضايا الذات والصفات والرسالات بعد ذلك تكون محلولة بلا جدال ، لأن الذي يتلقى قضية الوجود والوحدانية ، ويرسو منهما على شاطئ يقيني ، يستطيع بقليل من التفكر والادراك السديد ، أن يعطي اعترافه الكامل لذاتية الموجود ، وتعالى هذه الذاتية بصفاتها وكمالاتها عن التحديد والتجسيد والتشبيه ، كما يعطي اعترافه الكامل لضرورة الرسالة ، وذلك لحاجة العقل الانساني في قيادة القوى الادراكية والبدنية إلى معين من بني جنسه يفهم عنه ، ويحس فيه بامتياز خاص يؤهله للحديث عن الله ، فان هذا المعين ـ وهو النبي أو الرسول ـ يقرب أمام العقل الانساني قضايا الذات والصفات والغيب على سوائها الحقيقي ، فينقذ هذا العقل من وهدة التخبط الغاشم في أودية ما لا يستقل بفهمه من القضايا

والمقولات .

ـ ٧ ـ

وإذن فالايمـــــان بوجـــود الله ووحدانيته يشكل الأســـاس الـــذي يرتكز عليه الوعي الانساني في لقائه المثير بعناصر الوجود ، لأنه يدعـم مركز الانسان في الكون كخليفة لله ومخلوق على صورة خالقه ، وكلما أوغل الانسان في عرفانه بخالقه ، وتنزيهـــه عن المحدوديـــة والمثليـــة والزمانية والمكانيـــة ، كلمـــا ازداد رسوخا في قلب الحركة التاريخية ، وارتفاعا بهـــا من مراغـــة الخبـط والتشويه إلى قمم الحكمة والوسامة ، لأن قيادته للواقع التاريخـي تكون مقيسة حينذاك إلى هدف واضح ، ومشدودة إلى مثال تصدر الجماليات عنه كما يصدر الضوء عن الفجر ، والحركة عن الطاقة ، والعبـير عن حدائق الورود .

« وقد تخيل بعض المتكلمـين في الأديان أن هذا التنزيه البالغ يعزل الخالق عن المخلوقات ، ويبعد المسافة بين الله والانسان .. وإنه لوهم في الشعور وخطـأ في التفكـير .. لأن الكمال ليسـت له حدود ، وكل ما ليست له حدود فلا عازل بينه وبين موجود .. وفي القرآن الكريم (**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**) البقرة/١١٥ (**ونحـن أقرب إليـه من حبـل الوريـد**) ق/١٦ » .

ـ ٨ ـ

فاذا كانت القضية الايمانية على هذا النحو من التغور في صميم الذات المخلوقة ، وعلى هذا النحو من التناغم المنطقي الـذي تفضي مقدماتـه إلى نتائجه ، فلمـاذا يستطيـع الفـكر الملحد ــ في كل العصور ــ أن يجد له جيوشا وألوية وأرضا يقاتل من فوقها الفكر العقائدي ؟!!..

أغلب الظن أن هذا الفكر الملحد يسقط على ما في الكون من إعضال وتناقض ظاهري يبدو أمام الطاقة الانسانية المحدودة تناقضا في صميم البناء الوجودي ، وليس في محدودية الرؤية البشرية لهذا البناء ، ليؤكد من خلاله أن كونا يتضمن مغاليق لا تفهم من جهـة « كقضيـة الموت » ... وتشوشا ينبثق من تعانق النقيضين في نفس هذا الكون من جهة أخرى : « كقضية الشر الحادث في العالم مع فرضية عدالة الخالق ورحمته » : هو كون مخلوق للصدفة والعبث والطبيعة الصماء !!..

وأغلب الظن كذلك أن هذا الفكر الملحد يسقط على قضية وجود الله وماهيته وانحسار العقل البشري ــ بالضرورة ــ في محدودية التصور دون الاندفـاع في مطلـق المشاهـدة والاحتواء ، ليقيم من هذه الوضعية « المحكومـة بقوانـين الخالقيـة والمخلوقية » مصادرة يواجـه بهـا الفكر العقائدي ويحـاصره في جدل قياس الالهيات بالبشريات ، وهنـا

تكمن حقيقة المأساة .

ومن واجب الفكر العقائدي في كل من القضيتين ، أن يتصدى لمقولة الرفض بمقولة الاثبات ، ولجدل المادة بجدل المادة والروح ، ولثقافة العصر بثقافة كل العصور .. أما أن يتخفى وراء أقنعة التعقل البارد ، أو اللامبالاة الكسيحة ، فتلك محنة تجرم بطلها وتنفيه من خرائط الفكر الايماني المقتحم الجسور .

ـ ٩ ـ

إن الفكر الملحد حين يسقط على قضية « الموت » زاعما أنها فناء غير مبرر لمخلوق كان من الممكن أن لا يوجد أساسا . أما وقد وجد فان من حقه أن لا يفنى على هذه الصورة القاسية .. ينسى تماما بسائط القانون الطبيعي القائل بأن المادة لا تفنى ، وأن الموت في ضوء هذه الحقيقة الطبيعية لا يعد فناء مطلقا ولا غيابا مطلقا ، ولكنه مجرد صيرورة يستحيل بها من وضعية طارئة في كون تتسم كل ظواهره الطبيعية بالاستحالة والطروء ، إلى وضعية خالدة حيث تعود العناصر لترتمي بكاملها في أحضان صدرها الأول الذي انبثقت عنه فتكتسب خلودها من خلوده ، وديمومتها من ديمومته ، ويصبح « الموت » عبورا من الطارئ إلى الخالد ، وانسيابا طبيعيا من وضعية الانفصال إلى وضعية الاتصال .

ـ ١٠ ـ

أما قضية الشر التي يسقط عليها الفكر الملحد ويجسد منها تحديا لعدالة الخالق مع فرضية تسليمه بوجوده . أو تحديا لوجوده في ضوء التناقض الشامل الذي يزعمه هذا الفكر بين حدوث الشر في العالم ـ وهو حادث بالمشاهدة ـ وبين الوجود الراحم لاله حكيم ، مما ينتفى معه الوجود غير المحس ـ وهو وجود الله ـ أمام حلول الوجود المحس ـ وهو وجود الشر ـ لانتفاء وجودهما معا .. فان الخطل كامن في أساس الحكم على القضية وفي طريقة الحكم عليها جميعا ، لأن من المسلم به أن الظاهرة الوجودية ليست آنا واحدا وليست جغرافية واحدة ، وإنما هي نهر متواصل التدفق ، ومسافات تفضى بلا نهاية إلى مسافات ، وما دام ذلك كذلك فان طاقة الرؤية الانسانية المحدودة بالضرورة أعجز من أن تحيط بكل الظاهرة الوجودية لتحكم لها أو عليها .. إن قصاراها : أن تحكم على الآن الزماني الذي تعيشه ، وعلى المساحة الجغرافية التي تمارس فوقها نشاطاتها الحيوية ، فاذا وقع في آنها المحدود أو مكانها المحدود ما يصادم لذاذاتها الشخصية الضامرة أطلقت حكمها العشوائي بخطل المعادلة الكونية ، مع أن الخطل كامن في قصورها الذاتي عن احتضان كل الكون والوجود والحكم من خلال هذه الرؤية الشمولية على النظائر والأضداد .. إن ما تحسبه الذات الانسانية شرا هو جزء من ظلال

الصورة الكلية المحكومة في النهاية بالخيرية المطلقة ، لأن ما هو شر بالنسبة إليك ، قد يكون خيرا بالنسبة إلي . فأي الجانبين نرجح في موازين الحكم والتقدير .. ولو أن هذه الذات عاشت كلية الصورة – وهي بالضرورة لن تكون – لأدركت حكمة الظل في جانب والضوء في جانب آخر ، ولعرفت أن عمرا زمانيا أو مكانيا لا يمكن أن يخول الحكم المطلق على كل الأزمنة والأمكنة بلا حدود !!..

– ١١ –

وتتصل قضية الفكر الملحد في ضلاله مع قضية وجود الله وماهية هذا الوجود بمحدودية الطاقة البشرية المتلقية ، ربما انطلاقا من مسلمة : أن الجزء لا يطيق أن يستوعب الكل ، وربما انطلاقا من ضرورة حصر العلاقة بين الخالق والمخلوق في مسافة عرضية المخلوق ولا نهائية خلود الخالق ، وربما انطلاقا : من كون القدر الادراكي المفاض على البشر محكوما بنوعية المعرفة الانسانية وتخومها الضاغطة ، وربما انطلاقا : من فرضيات أخرى كثيرة ومتنوعة ، إلا أنها في النهاية تقف من عجز الطاقة وقصورها الذاتي على عتبات فهم الوجود الالهي ، وكان جديرا بها منذ البدء أن تنصرف عن هذا الطموح الفادح إلى تأمل روعة ما يحيط بها من إبداع معجز في ظواهر الطبيعة ، وآفاق الكون ، ورحائب النفس والوجود .

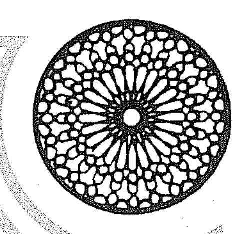
– ١٢ –

هذه نوعيات من سقوط الفكر الملحد الغابر والمعاصر على قضايا الاثارة والتناقض الشكلي ، ومحاصرة الحس العقيدي تحت وطأة وضع هذه القضايا في مقولات فلسفية ، أو رؤى فنية ، أو بناءات فكرية ، مما يضفي عليها طابع الخلابة والفتون في غياب المفسرين لفكرنا العقائدي من وجهة معاصرة تعيش أزمة المرحلة وتعبر عن همومها بلغة العصر ولغة ما تستريح إليه أجياله من أشكال الفن والفكر والجدل الحضاري على السواء .

إن الصمت لا يعني الامتلاء بقدر ما يعني الخواء ، وقد كان أسلافنا الكبار يعيشون قضية الفكر الاسلامي في مرابطة دائمة ، كلما سمعوا هيعة طاروا إليها ، فاستطاعوا من خلال هذه الجسارة الفكرية أن يتركوا أهرامات من الابداع في كل الحقول ، تطاول أروع ما تفتق عنه العقل البشري في كل العصور والبيئات ، وأن يثبتوا دائما أن الذهنية العربية والمسلمة قادرة بكل ما تملك من عطاءات مواريثها أن تقود وأن تناجز وأن تنتصر ..

فمتى .. متى نشعل في هشيم حياتنا الناضبة شرارة البدء ؟

ومتى نستعيد ممالك الفتح الأولى ، ونضيء شموس الفكر العقائدي فوق خرائب ما يعانيه العالم اليوم من فكر ملحد بلا تبرير ؟؟!!..



قالوا في الأمثال

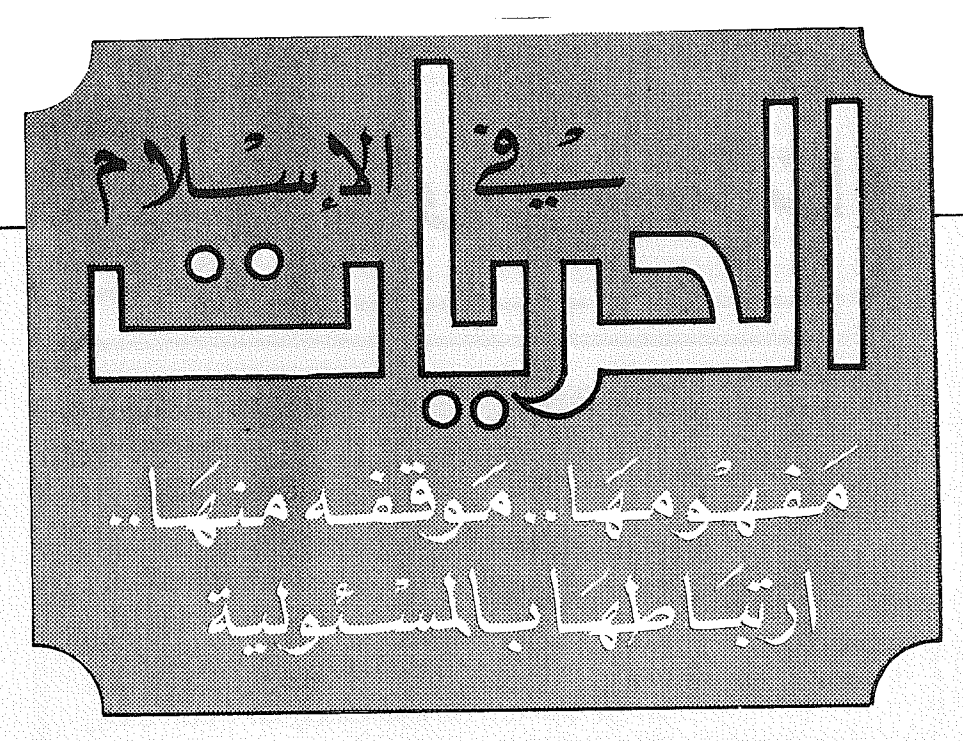
○ من يمدح العروس إلا أهلها :

كل امرىء يعجب بما عنده ولو لم يكن يستحق الاعجاب .
يعد التاجر بضاعته أجود بضاعة وإن لم تكن ، ويجعل المرء أهله وعشيرته وشعبه أعظم الناس وأفضل الشعوب وإن لم يكونوا ، يخفي عوراتهم ويظهر مفاخرهم ، ويرد من حاول تحقيرهم ، ويباهي بهم ، ، لان خيرهم خيره وقوتهم قوته ، وتحقرهم تحقير له ، إذا عزوا عز وإذا ذلوا ذل ، وإذا نفقت بضاعة ذلك التاجر عاد رواجها عليه ، أما بضاعة غيره فلا يناله منها شيء -
وكذلك يمدح المرء نفسه ، ويشيد بأعماله ولو كانت ضئيلة ، لا يعترف بالغباء إذا كان غبيا ، ولا يظهر بمظهر الضعف إذا كان ضعيفا ، بل يتكلف الظهور بمظهر الذكي المفكر القوي ، وان لم يعترف للناس بما يدعى وإن كذبه للعيان .
ومثل ذلك يصنع أهل العروس ، يبرزون الجوانب المشرفة فيها ، ويخفون الجوانب المظلمة ، يعرضون محاسنها ويصفونها بأكثر مما فيها أو بما ليس فيها حتى تحلو في عين الخاطب : أما غيرهم فلا يهمه من امرها ما يهم أهلها .

صدرك أوسع لسرك

مثل يضرب للحث على كتمان السر ، فالعاقل يحتفظ بسره ، ويجعل صدره وعاءه ، ولا ينقله إلى صدر آخر ، لأن الصدور الأخرى أوعية لا تبقى عليه ، وتضيق به فتلقيه وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : أنا لحده أي قبره الذي لا يخرج منه .
وقال الشاعر :

إذا جاوز الاثنين سر فانه يبث وتكثير الحديث ضمين



للشيخ سليمان التهامي

الحرية : هى التحرر من العبودية والظلم . وتطلق في اللغة كما جاء في « أساس البلاغة » وغيره : على العبودية والاسترقاق . فيقال : هو حر : أي غير مسترق ، وتطلق على الخلوص من القيد ، فيقال : هو حر اي غير أسير ، وعلى الخلوص من كل شيء فيقال : فرس حر : اي أصيل ليس في نسبه هجنة ،كما يقال: أرض حرة : أي لاسبخة فيها ، وطين حر : اي لارمل فيه . وتطلق على : الشرف ، وطيب الارومة ، وكرم المنبت . فيقال : هو حر : اي كريم شريف طيب ، وسحابة حرة : اى كريمة المطر ، وهو من حرية قومه : أي من أشرافهم .

والحرية حق من الحقوق الطبيعية وهبها الله للانسان وقد استحقها بفضله وفطرته وانسانيته كحق الحياة والعلم وسائر الحقوق الأخرى ذلك أن الاعتبار الانساني لايقوم الا بالحرية ، والحريةمفهوم يختلف تماما عما وقر في أذهان كثير من الناس في هذا الزمان . هؤلاء الذين يفهمون ان الحرية : انطلاق من كل قيد وراء الاهواء والشهوات ،وانفلات من كل نظام ، وخروج على العرف والقانون ، والعادات الصالحة والتقاليد القويمة بحيث يقول المرء ماشاء ويفعل مايريد ، ويتصرف حسب مايزين له هواه وشيطانه ونفسه الأمارة بالسوء ، فتلك هى الفوضى والعبودية للشهوات والغرائز . وقد مضت سنة الله في

الحياة ان كل شيء يسير وفق قانون يضبط أمره،قال تعالي: **﴿ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هـــل تري مـــن فطور ﴾** الملـــك /٣ ومـــا جاءت الشـــرائع ، ووضعت القوانين ، وصيغت الدساتير الالبيان تلك السنن وعلى هذا فليست هناك في الحياة حرية مطلقـــة غير مقيدة بقانون بل ان حرية الفرد لا تصان الا حـــين تقيد ببعض القيود لتسلم حريات غيره في المجتمع . فليس من حق أحد أن يتخذ من عدو وطنه أو دينه وليا يلقي اليه بالمودة ، ويفضى اليه بالأسرار ،ويطلعه على العورات التى تهدد أمن الدولة ، وتدمر سلامتها دون أن يتعرض لعقاب الله ومؤاخذة القانون : وهو مايفهم من قوله تعالى: **﴿ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة ﴾** المتحنة /١ ومن مؤاخذة الرســـول صلى الله عليه وسلم لحاطب بن أبي بلتعة ــ وهو صحابي جليـــل وممن حضر بدرا ، ومن المبشرين بالجنة ــ حين كتب كتابا الى نفر من قريش يبلغهم نبأ قدوم الرســـول عليهـــم بجيش ــ وصفه بأنه يسيل كالسيل ــ لفتح مكة . وكاد عمر رضي اللـــه عنه يقتله ، لولا أن علم الرسول عليه السلام صدق ايمانه وحسن قصده في حفظ بعض ذوى قرابته المستضعفين بمكة وقال لعمر : « ومايدريك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملـــوا ماشئتم فقدغفرت لكم» سيرة ابن هشام

وليس من حـــق احـــد كذلك أن يستعبد احدا يساويه في الانسانية اويكون أدني منه ، فتلك عـــبودية لاتليق بكرامة الانسان . والله عـــز وجل قضي على هذه العبودية حـــين بين أن الناس خلقوا من نفس واحدة في قوله :**﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم مـــن نفس واحـــدة ﴾** النســاء /١ وانهم خلقوا للتعارف لا للتخالف، أكرمهم اتقاهم في قوله : **﴿ يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعـــارفوا ان أكرمكم عند اللـــه أتقـــاكـــم ﴾** الحجـــرات /١٣ والرسول عليه السلام في خطبته الجامعة في حجة الوداع وهو يعلن حقوق الانسان نادى قائلا : ﴿ أيهـــا الناس ان ربكم واحد وأباكم واحـــد لا فضـــل لعـــربي على أعجمي الا بالتقوى ﴾ سيرة أبن هشام .

ان الاسلام هـــو الثورة الانسانيـــة الكبرى لتحرير الانسان وكان الاستبداد طابـــع المجتمعـــات التى سبقتـــه وعاصرته، فالتاريخ يحدثنا أنه قـــد وجـــد الحر والعبد والسيد والرقيق منذ اقدم الأزمـــان وذهبت أحـــلام الفلاسفة عبثا في اقامة مجتمـــع لا تسود فيه الطبقية ولا العنصرية، حتى ذهب بعضهـــم الى أن أرواح العبيد ليست من جنس أرواح السادة. وبعد عصر أفلاطون قامت في العالم مجتمعات ــ ومنها المجتمع الجاهلى قبـــل الاسلام ــ على أسس مـــن العنصرية والعصبية والقومية انعدم

في ظلها الروح الانساني الذي يوحد بين البشر حيث لايكون هناك سيد ولامسود . وذاب الضمير الاجتماعي أمام هذه الجيوش من العبيد الذين بلغ عددهم في بعض بلاد العالم القديم ثلاثة أرباع السكان ، وقدكان للسيد في هذه العصور الحق المطلق في بيع العبد أو قتله ، وليس للعبـــد قبل سيده أي حق تلزمه بـــه الأعـــراف السائدة ، بل كان عليه كل التبعات

لقد حرم الانسان الحريات بأنواعها المختلفة فلا حرية مدنيـــة لأن الرق كان سائدا ، ولاحرية سياسية لأن الملوك والطواغيت كانوا يقضون في شئون الناس بماشاءت اهواؤهم ، ولاحرية اجتماعية لأن نظام الطبقات كان يمنح الشـــرف والحياة للسادة وحدهم دون الموالي والعبيد ،ولاحرية فكرية لأن العبوديـــة الجـــاثمـــة ، والطبقية المتربصة لاتدع لأحد حريـــة ابداء الرأي في شئونه الخاصـــــة فضلا عـــن شئونـــه العامـــة ، بل لاتدع لأحد حتى مجرد التفكير في شيء

والاسلام حين أعطى الانســـان الحرية قيدها بالفضيلة حتى لاينحرف وبالعدل حتى لايجور ، وبالحق حتى لا يزيغ مع الهوى ، وبالخير والايثار حتى لا تستبد به الانانية ،وبالبعـــد عن الضرر حتى لاتستشرى فيه غرائز الشر ، وفي ذلك يقول الله تعالـــى :

(ان هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم) الاسراء / ٩ ويقـــول الـــرسول عليه السلام:«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» رواه الترمذي وقال حديث حسن .

والأمم الحديثة آلتى يسود فيها النظام الديمقـــراطـــى تدعـــى أن الانسانية مدينة لها بمبدأ الحرية . ادعى الانجليز أنهم أعرق الشعوب في الدعوة اليها ، وزعم الفرنسيون أن الحريـــة ثمرة مـــن ثمار الثورة الفرنسية ولهذا آتخذوها شعـــارا ورمزا لجمهوريتهم ، ونصوا في المادة الأولى من اعلان حقوق الانسان :

« ولد الناس احرارا ومتساوين في الحقوق » وادعى غـــير الانجليـــز والفرنسيين ذلك في الوقت الذي نرى فيه هذه الدول تحمل لواء الاستعمار وتستبد بأقدار الشعوب ، وتدوس الحريات بأقدامها فاذا نادت البلاد المستعمرة بالحرية ، وهبت للخلاص من أغلالها جردت لها قواها العسكرية وشنت عليها حربا عاتية لا تزر من شيء الا أتت عليه .

وما الحروب المشبوبة في العالم المعاصر ، والدماء المراقة على أديم الأرض الابسبب المطالبة بالحرية . فالحرية في مفهوم المستعمـــريـــن شعارات تعلن ، وعبارات تـــردد بالألسن ، وغير هذه الدول من أعضاء هيئة الأمم تقف مكتوفة اليدين امـــام طغيان أمريكا في الشرق الأقصى ، وعدوان اسرائيل في الشرق الأوسط ومجازر الدول العنصرية في البرتغال وأثيوبيا وروديسيا وجنوب أفريقيا وزحف الشيوعية على بلاد كثيرة في قارات الدنيا . وهذا كله يحدث من قوى كبرى تتزعم هيئات الأمم المتحدة، وقد جاء في ميثاق حقوق الانسان الذي وضعته وتحتفل بذكراه كـــل عام . « الناس يولدون احرارا متساوين »

واذا كانت الحرية في رأى الفلاسفة الأقدمين ، والمشرعين المحدثـــين ،

والسياسيين المحترفين شعارات تعلن وعبارات تردد كما ذكرنا فهي في الاسلام شريعة مقررة ، ومبدأ ملزم ونظام ثابت في العقائد والعبادات والمعاملات ونظام الحكم واساس العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض وبينهم وبين المجتمع الذي يعيشون فيه ، وبينهم وبين الدولة التى يستظلون بظلها .

الحرية في الاسلام علم وعمل ، وأخلاق وسلوك ، ومفهومها انموذج رفيع بين المفاهيم الأخرى، فلا هي بالاباحية المفرقة التى تغلو في الانطلاق غير عابئة بما تبث من فتنة ، وتنشر من فوضي ولا هى بالمستبدة المفرطة التى تمجد القيد وتشرع الواد ، ولكنها تحقق الوسطية التى سارت شريعته عليها وتميزت امته بها قال تعالى : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة / ١٤٣ وقال عليه السلام : « أن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلبه . فسددوا وقاربوا » رواه البخاري، كما ان الحرية في الاسلام تحقق الوسطية التى قامت شريعته عليها ، فهي كذلك تحقق المسئولية التى الزم اتباعه بها ، والمسئولية الفردية لا يحملها الا الأحرار ، وبقدر ما تنتقص الحرية تنتقص المسئولية ، وهو ما يفهم من قوله تعالي : **(انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)** الاحزاب / ٧٢ وقوله عليه الصلاة والسلام : « ان الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما عن أبن عباس رضي الله عنه .

وعلى هذا فالانسان الحر مسئول : لأن الحرية والمسئولية صنوان متلازمان ، ولأنه بطبيعته يميل الى التحرر ، وفطرته التى فطر عليها ، وعقله واستعداداته التى ميزه الله بها على سائر مخلوقاته وخلافته في الأرض التى خلق من أجلها ، وهذا الكون العظيم الذي سخره الله له ليكون ميدان نشاطه ، ومجال تأملاته وحقل تجاربه ، ومرمى اماله ورغائبه — تجعله ملتزما بهذه المسئولية ، وقد وجب عليه هذا الالتزام لأنه عضو في المجتمع ، وحر في اتخاذ قراراته ، وانفاذ تصرفاته، ولاقيد على ارادته بأي صورة من الصور . وهو مسئول عن ذلك مسئولية كاملة في الدنيا والآخرة ، فهو في الدنيا مأخوذ بالقوانين والأعراف التى تحكم مجتمعه ، وفي الآخرة مسئول أمام الله عز وجل: **(يوم يقوم الناس لرب العالمين)** المطففين / ٦ .

وقد سجل القرآن هذا الالتزام في كثير من آياته ومنها قوله تعالى : **(ولتسألن عما كنتم تعملون)** النحل / ٩٣ وقوله : **(وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)** الاسراء / ١٣ ، ١٤ واكد الرسول عليه السلام هذه المسئولية في كثير من الاحاديث واجمعها لانواع المسئوليات مارواه الشيخان في قوله عليه السلام: « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل في اهله راع ومسئول

عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجهـــا راعية ومسئولة عن رعيتها ، والعبد في مال سيده راعٍ ومسئول عن رعيته. الا فكلكم راع ومسئول عن رعيته ».

الحريـــة الانسانيـــة : فالانسان يولد حرا ، وهذه الحرية مطلقـــة من كل قيد حتى تصطدم بمصلحـــة الفرد نفسه أو مصلحة المجتمع فتتقيد حينئذ ، لتدفع الشر والأذى عنهـــما قال تعالى :**(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مـــا اكتسبـــوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا)** الاحزاب /٥٨ وقال عليه السلام في الحديث الصحيح: «لاضرر ولاضـــرار » رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما .

والانسان الحر لايكون عبـدا الا لله وحده ، وهذا ما تفيده كلمة «لا اله الا الله وهي كلمة التوحيد وشعار الاسلام الذي يردده المسلم صـــباح مساء في ذكره وعبادته ، وسائر عمله أي لا معبود بحق الا الله . ووصف العبودية اشرف الأوصاف والقرآن الكريم في غير ما آية يصف به رسل الله قال تعالى :**(واذكر عبدنا داود ذا الأيد)** ص /١٧ وقال عن أيوب عليه السلام :**(واذكر عبدنا أيـــوب)** ص /٤١ . وقال في وصف محمد عليه الصلاة والسلام حين أسرى بـــه : **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا مـــن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى)** الاسراء /١ واذا طبع الفرد على هذه الحرية اصبح حـــرا ، وتكـــون منه المجتمع الحر ، وتكون من المجتمـــع الحر الأمة الحرة التى تتعشق الحرية، وتأنف المذلة والهوان ، وتحيا حياة العزة والكرامة .

ان رضا الانسان بالذل لغير الله وحده ، وخنوعه لأحد من خلقـــه ، وجموده على ضعفه ، وهوانه على نفسه ، واستكانته عن تحقيق حريته. نكسة في الفطرة يأباهـــا الاسلام ، وينعي على أصحابها . وقـــد توعد الله بعقابه مـــن انتكس في فطرته ، وارتكس في حمأة ضعفه الانساني ، وفقد آدميته بالاخلاد الى الأرض قال تعالى : **(ان الذين توفاهم الملائكـــة ظالمـــي انفسهم قالوا فيـــم كنتـــم قالوا كنا مستضعفـــين في الارض)** النســاء / ٩٧ .

لقد أوجب الاسلام على المسلـــم المستعبد أن يحطم القيـــود ويكسر الأغلال ، واذن له في القتال دفاعـــا عن حريته ،وذودا عن عقيدتـــه ، واستنقاذا للمستضعفين من اخوانه قال تعالى : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حـــق الا أن يقولوا ربنا الله)** الحج /٣٩و٤٠ بل لقد أمر بالنفير العام لدرء هـــذا الخطر قال تعالى : **(انفروا خفافـــا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيـــل الله)** التوبـــة / ٤١ واذا قعدت الأمة عن اداء هذا الـــواجب عوقبت بالتغيير المدمر والعـــذاب في الدنيا والآخرة قال تعالى : **(أن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** الرعـــد / ١١ وتغييـــر مـــابالنفس هو الرضا بالعبودية بعد الحريـــة ، وبالهوان والمذلـــة بعـــد العزة ، وبالخضوع للشهوات والانغماس في المحرمات ، والتكالب على الحطـــام ومتاع الحياة بعد الطاعة والاستقامة اما اذا هي ذادت عن حماها،وضحت في سبيل حريتهـــا بالنفس والنفيس كانت جديرة بوعد الله في قـــولـــه :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ النور /٥٥ .

لقد احتمل المسلمون في الصدر الأول الم العذاب ، وصبروا على الأذي الى حد بذل الروح ، ولم يفرطوا في أنسانيتهم وحريتهم ولو بكلمة واحدة من كلمات الكفر يرضون بها جلاديهم حتى رخص لهم رسول الله في ذلك ولم يكن هناك اذن بالقتال وبعد الاذن بالقتال وضعوا أرواحهم على اكفهم فداء لعقيدتهم ، وحفاظا على انسانيتهم ، وموقف عاصم بن ثابت « يوم الرجيع » معروف حيث لم يقبل عهد المشركين بتأمينه ورجال سريته — وحمل السيف عليهم حتى استشهد هو وبعض رفاقه رضي الله عنهم ، وقبول رسول الله عليه الصلاة السلام جوار مشرك حين منع من دخول مكة بعد رجوعه من الطائف لما ردته ثقيف ورفضت دعوته — هو من قبيل الحكمة التى أمر بها قبل الاذن بالقتال في قوله تعالى: **(أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)** النحل /١٢٥ وسياسة تاليف القلوب التى انتهجها : كأعطاء المؤلفة قلوبهم، ومواقف الصفح والعفو التى عرف بها وطبع عليها . فالحرية الانسانية هي طابع العقيدة الاسلامية ، وقد عرف به كل مسلم ولم يكن مقصورا على افراد معروفين : بل كان خلقا عاما لكل من أسلم وجهه لله والتاريخ شاهد على ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده وأمراء المسلمين الذين ازدهرت بهم حضارة الاسلام، وكان الناس تبعا لهم .

والحرية السياسية : هي أن يشترك كل فرد توفر له الرشد العقلى في اختيار رئيس الدولة وادارة شئونها عن طريق انتخاب ممثلين لها ممن توفرت له الأهلية الشرعية انتخابا حرا أو بطريق الاستفتاء العام . وقد كان الحكم في الصدر الأول شوري نتيجة بيعة حرة . وقد تولى ابوبكر الخلافة نتيجة بيعة المهاجرين والأنصار له في سقيفة بنى ساعدة ، وتولى الخلفاء الثلاثة عمر وعثمان وعلى الخلافة علىصورةقريبةمنهذه البيعة .

والشوري التى قررها الاسلام هى مايسمى بالديمقراطية في العصر الحديث ، ولم يحدد الاسلام نوعا معينا لها بل ترك الأمر لحاجات الناس في العصور المختلفة حتى تكون صالحة لكل زمان ومكان .

وكان خليفة المسلمين ومن يعاونه في تصريف شئون الخلافة وهم بلغة العصر الحاضر السلطة التنفيذية القائمة على ادارة شئون الدولة — لايبرمون أمرا هاما ، حتى يجمع المسلمين ويأخذ رأيهم كما يحدث في عصرنا من عمل استفتاء عام عند الأحوال الطارئة أو الأمور التى يرتبط بها مصير الدولة ، وكل خروج عن مبدأ الشورى في نظام الحكم يعتبر بعيدا عن روح الاسلام .

وماصنعه معاوية بن ابى سفيان من اخذه البيعة لابنه يزيد بطريق الترغيب أو الترهيب بعيد كل البعد عن الشوري .

وتوكيدا للحرية السياسية والأخذ بمبدأ الشورى أمر الله نبيه وهو

ــ المعصوم ــأن يشاور المسلمــين والايستبد بأمورهم قــال تعــالى : ﴿ **وشاورهم في الأمــر فــاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين**﴾ آل عمران /١٥٩ وقد نفذ الرسول أمر ربه وطبقه في سلمه وحربه وكان يأخذ بما أجمع عليه أصحابه ولوكان خلاف رأيه فان اختلفوا فبما اتفقت عليه أغلبيتهم ، فقد اخذ برأى الحباب ابن المنذر في غزوة بدر ونهض بالجيش الى اقرب ماء من العدو ، وبــراى الصحابة اجمعين في الأسرى ، ولما مال الى راي من يقول باخذ الفدية عوقب في قوله تعالي :﴿**ماكان لنبي أن يكون له اسري حتى يثخن في الأرض**﴾ الأنفال / ٦٧ وأخــذ برأي سلمان الفارسى في حفر الخــندق حــول المدينة في غزوة الأحــزاب ، وبراي الشباب في خروجه لغزوة احد ولبس عدة الحــرب ، فلمــا اعتذروا اليه وتركوا له حرية الراي قال كلمتــه الخالدة : « ماينبغي لنبي لبس عدة الحرب أن يخلعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » وغير ذلك مما وعته كتب السير والتاريخ .

وكان أبو بكر يستشير الصحابة رضي الله عنهم فيما يعرض من شئون المسلمين ، وعمر بن الخطاب كــان يمنع كبار الصحابة من الهجرة الــى الأمصار بقدر استطاعته لأنهم كانوا أهل مشورته ، ولما عاب الصحابــة بعض التصرفات على عثمان رضي الله عنه قال : « أنى لا أعود لشيء عابه المسلمون ، والله لئن ردني الحق عبدا لأذلن ذل العبيد » وغيرهم من الخلفاء والامراء ساروا علــى نهجهم .

وتشمل الحرية السياسية عــدا اختيار الخليفة أو رئيس الدولة وأبداء الراي الشوري في كل الأمــور التى تقتضيها مصلحة المسلمين ــحريــة النقد وحريــة التظلم فكــل فرد في المسلمين له الحق في نقد من يولون الأمر في حدود الأدب والمصلحة العامة، وذلك بمقتضى الطاعة الواجبة لهم في الرقاب . فليس في الاسلام طاعة مطلقة ولاحكم مقدس كما كان يفهــم كثير من الملوك والرؤساء في العصور الوسطى وغيرها . والأمر بالطاعة في قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنــوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمــر منكــم** ﴾ النســـاء / ٥٩ مقيد بالتزام الحاكم بمبــادىء الحق والعدل والبعد عن الجور ومناصرة الباطل ولهذا قال النبى عليه السلام: « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه احمد والحاكم ، وقال : «افضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر »رواه أبو داوود وقال أبوبكر بعد توليه الخلافة«أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لــى عليكم » ولما قال عمر رضي الله عنه « ان أخطأت فقوموني » قال رجــل من القوم نقومك بسيوفنا » فقــال عمرُ« **الحمد لله الذي جعل في أمــة محمد من يقوم عمر بسيفــه** » .

وحرية التظلم لرئيس الدولــة مــن تصرفات الحكام والولاة ولوكانوا في أعلــى مستوياتهم كان كذلك موضع اهتمام الرسول وخلفائه فهو لم يقبل الشفاعة في المراة المخزومية حــين سرقت ، وأقــام عليهــا الحــد ، وعمــر بــن الخطــاب رضي الله عنــه كان يجمــع الــولاة في موسم الحج وينادي في الناس « من كانت له مظلمة عند أحد مــن الولاة فليرفعها » وشكوي المصري اليه من

ابن عمرو بن العاص والى مصر وانصافه معروفة . ولتأكيد هذه الحرية أنشىءديوان المظالم في بعض العصور الاسلامية لهذا الفرض وديوان المظالم موجود في عصرنا الحاضر في بعض البلاد العربية والاسلامية وتمثله ادارات الشكاوي بالوزارات والمصالح في بعضها الآخر.

والحرية الاجتماعية : ويعبر عنها بالاشتراكية في التعبير الحديث ، وبالعدالة الاجتماعيةفيلسان الاسلام، وهدفها تذويب الفوارق بين الطبقات، وتفتيت الملكية ، ومنع تراكم الثروات في ايد قليلة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية في أسمي معانيها . وقد رسم الاسلام الخطوط العريضة لها حتى تكون بمنأى عن غلو الشيوعية وتطرف الرأسمالية ، وحتى تقوم على أساس من التوازن بين حرية الفرد وحرية المجتمع .

وكان من أظهر ماخطه الاسلام في شأنها أن أقر الملكية الفردية الخاصة لتبقى للانسان شخصيته المستقلة وارادته الحرة ونزعة حبه للتملك فهي نزعة فطرية وضرورية لا طراد النمو الاقتصادى . وقد غفل من يقول بانكار حرية التملك أو تعريفها بأنها وظيفة اجتماعية عما يفضي اليه قولهم من تعطيل للفريزة فضلا عن أنه لا يستند الى أساس طبيعي ، وما أشبه رأي من يقول بانكارها أصلا بمن يقول بتقديسها بحيث لاتمس ،ولو اقتضت ذلك مصلحة المجتمع .

فحرية التملك جوهر الحرية الاجتماعية وتبقى مصونة مالم تصادم حق الفير أو تعارض خير المجتمع . وقد بين القرآن في قوله تعالى : **(سخر لكم ما في الأرض)** الحج /٦٥ وقوله عزوجل : **(وسخر لكم ما في السموات)** الجاثية /١٣ وبين الرسول في قوله « الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار » وفي رواية أخري «والملح»رواه الامام احمد. أن الناس متساوون في الاستفادة من هذه الخيرات ، وليس النص في الحديث للحصر بل كل ماكان ضروريا لحياة المجتمع فانه يوجه لخير الجميع ولا يحتكره فرد أو أفراد كما تقضي بذلك قواعد الشريعة .

والاسلام حين أقر الملكية الخاصة حفاظا على شخصية المسلم جعل يد المالك على المال يد استخلاف لأنه مال الله قال تعالى : **(آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)** الحديد / ٧ وأحاط هذه الحرية بطائفة من التشريعات لأرساء نظام المجتمع ودعم قواعد العدالة بين أفراده . فقد أعطى المسلم حق العمل وحق العلم وحق الرعاية في المرض والشيخوخة ، وفرض الزكاة وجعلها الزامية وتنظيما اجتماعيا لاعطاء فرديا ، وشرع الميراث بين جميع الورثة بحيث لا ينفرد واحد منهم بالتركة كما تقضي بذلك بعض التشريعات الحديثة . وقرر مبدأ التكافل بأنواعه المختلفة ، كما حرم الربا والاحتكار والاستغلال بجميع صوره اللهم الا ما تلجأ اليه الحكومات من احتكار الأقوات في زمن الحروب والأزمات صيانة للشعوب من اضطراب الاسعار وتلاعب الجشعين من التجار ، وهي ضمانات من شأنها أن ترد عن الحقوق العدوان ،وتحفظ كرامة الانسان .

الفتاوى

للشيخ : عطية صقر

الحياة على الكواكب الأخرى

○ السؤال : يقول الله سبحانه « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » سورة الشورى ، ألا تدل هذه الآية على أن هناك كائنات حية في غير الأرض التي نعيش عليها ؟

محمد علي محمود ـ تلا منوفيه مصر

ـ **الجواب** : لقد نشط البحث عن الحياة في الكواكب الأخرى خلال الأربعين سنة الماضية ، واستخدمت منذ ثمان عشرة سنة الموجات اللاسلكية لهذا الغرض ، ومنذ ستة أعوام اهتم الفلكيون بالتسمع على الكون لالتقاط الاشارات الصادرة منه ، وذلك في مختبر الدفع النفاث في « باسادونا » ومركز الأبحاث « آميس » التابع لمؤسسة « نازا » بكاليفورنيا .

ومؤسسة « سيتي » وهي رمز لمشروع البحث عن المخلوق الذكي الموجود خارج الأرض والذي يضم أكثر من مليون يد عاملة تعاون فيه الخبراء الأمريكيون والروس على تحليل ألف ساعة من الاشارات التي تم استقبالها من الفضاء الخارجي بأجهزة اليكترونية معقدة وشديدة الحساسية .

وقد قرروا أنه لا يتم لهم النجاح إلا إذا إستطاعوا إرسال إشارة يمكن للعالم الخارجي التقاطها . لكن النجوم الهائلة العدد لا يمكن أن تسلط أشعة على نجم منها مرة ثانية إلا بعد مرور مائة ألف عام على المرة الأولى ، وهذا كله في نجوم مجرتنا فقط « التبانة » فكم من الزمن يكفي لتسليط أشعة على نجوم المجرات الأخرى وما أكثرها ؟

ذكرت هذه المقدمة لترى أيها القارئ أن سعة الكون وتعدد نجومه والاكتفاء مرة واحدة بتسليط الأشعة على كل نجم ، كل ذلك لا يكفي للاعتقاد أو غلبة الظن أن في الكون حياة من جنس حياتنا البشرية ، أو من جنس آخر .

ومهما يكن من شئ فان هذه الأبحاث متروكة لعقل الانسان ، وموقف الاسلام منها موقف المشجع على النظر في ملكوت السموات والأرض ، ونصوصه أشهر من أن تذكر ، والانصاف في البحث سيؤدي إلى تعميق الايمان بالله ، كما قال سبحانه في ختام الآيتين اللتين تتحدثان عن النظرة في الكون أرضه وسمائه بمائه

ونباته ومعادنه وحيوانه وإنسانه « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » فاطر/٢٨.

والقرآن يكفيه أن يضع دستور البحث ويشجع عليه ، وليس من شأنه أن يدون جزئيات العلوم في أكثرها ، وعلى امتداد الحياة البشرية ستكشف أمور تتطلبها حاجة الانسان في نموه المطرد ، وما دام الله هو الحق ، وهو خالق العالم على هذا النظام البديع فان كلامه لا يتعارض مع قوانينه أبدا ، وإذا توصل الباحثون إلى ما يوهم التعارض مع القرآن فلا يجوز أن نسرع بالشك أو التأويل ما دامت النتائج لم تصل إلى مرتبة الحقائق العلمية التي لا يتطرق إليها الشك ، ولست موافقا على مسلك بعض الكتاب الذين يسرعون إلى الربط بين القرآن والعلم كلما لاح في الأفق كشف جديد ، وقد يسرفون في التأويل والتوفيق ثم تظهر البحوث التالية فساد ما سبق من نتائج ظلمنا القرآن بحمل آياته عليها . ومع إحسان ظني بأن كثيرا من الباحثين عندهم غيرة دينية حملتهم على هذا الربط فاني أدعوهم إلى التريث ، أو إلى جعل الأمر محل الاحتمال بعيدا عن القطع والجزم به .

والمفسرون للقرآن سلكوا في مثل هذه المواقف مسلك الحيطة والحذر فلجأوا إلى القول بالاحتمال وعدم المانع ، يقول النسفي في قوله تعالى « **ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير** » :

الدابة تكون في الأرض وحدها ، لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور ــ أي السموات والأرض ــ وإن كان متلبسا ببعضه ، كما يقال : بنو تميم فيهم شاعر مجيد ، وإنما هو في فخذ من أفخاذهم ، ومنه قوله تعالى : « **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** » وإنما يخرج من الملح ، ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض أو يكون للملائكة مشي مع الطيران ، فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسي ــ ١.هـ.

انظر إلى قوله : ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات .. هذا هو الموقف العلمي الصحيح من كل ما لا يجزم به الانسان ، فاذا تحقق أن في السموات كائنات حية فظاهر الآية « **وما بث فيهما من دابة** » لا يتعارض مع هذه الحقيقة ، وإذا لم يتحقق وجود كائنات حية فيها فالآية باقية على معناها على النحو الذي وضحه المفسر من أن النسبة الى الجزء نسبة إلى الكل ، وهو أسلوب معروف عند العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، ففي مجموع السماوات والأرض دواب ، وفي مجموع المياه العذبة والملحة لؤلؤ ومرجان ، وإن كانت الدواب في الأرض واللؤلؤ والمرجان من البحر الملح .

وبعد ، فان الموضوع ليس عقيدة نحاسب عليها ، ولا يترتب على الجهل بها شيء ، ونحن لم نحل مشاكل الأرض ولم نأت على نهاية العلم بأسرارها حتى نهتم بأسرار الكائنات العليا ، ويكفينا أن القرآن وهو أصدق خبر يحدثنا عما يهمنا منها ، والقرآن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فان وجد كشف جديد يزيدنا يقينا بصدقه فذاك وإلا فهو صادق على الرغم من عجزنا نحن



الشباب هم ذخر الأمة ، ومحط آمالها ، وفلذات أكبادها ترعاهم بعين ساهرة ، وقلوب حانية .
ولا غرو فهم مستقبلها السعيد .
ولقد حرصت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت على العناية بتوجيههم ، والأخذ بيدهم الى الطريق الأمثل ، وهديها في ذلك كتاب الله وسنة رسوله . وعلى هذه الصفحات نلتقي بشبابنا نعرض أفكارهم يحدونا الأمل والرجاء في توثيق الصلة بين شبابنا ودينه الحنيف .

الثقافة الاسلامية أين هى ؟

بعث الينا الشاب **عبدالجواد محمد الخضر** برسالة ضمنها هذه المعاني متسائلا عن الثقافة الاسلامية .

ولماذا خلت الساحات الأدبية منها ، وذخر أدبنا العربي المعاصر بكل الانحرافات ، والتميع ، والضياع ، وعم العالم مذاهب لا تليق بالفطرة الانسانية ، وقد حولته الى حيوان لا يفهم الا الوحشية ، وقد خلا من كل معاني الأدب ، وبدلا من أن يكون الأدب ثقافة ، وبناء ، وتدعيما للشخصية الانسانية ، وابرازا لمواهب الانسان جعلوه رمزيا ، وسرياليا ، ووجوديا الى آخر ما يعم عالمنا من ثقافة هابطة لا تقوم معوجا ، بل تزيده اعوجاجا ، ثم في نهاية المطاف ظهر فن اللامعقول ، أهذه ثقافة ، هل هذا منطق ؟.

ويقول لقد تعمقت في كل مذهب من هذه المذاهب ، فخرجت بنتيجة أتحمل تبعتها هى أن هذه المذاهب مجتمعة ، او متفرقة ، معاول هدم للاسلام والمسلمين كيف ؟

ان أهل الأدب الذين أسسوا هذه المدارس (إن صح التعبير) ليسوا من المسلمين ، بل هم اعداء الدين ، وأعداء القيم الانسانية انهم دعاة للجاهلية الأولى ، واقرأ معى ما يقوله أحد زعمائهم :

الى الذين سمائى فوق عالمهم ... وفوق كل عظيم فوقهم قدمى
العائشين مع الموتى مناصفة ... كالحلم في العين بل كالدود في الرمم

حقا لقد وصل الى درجة لم يصل اليها الشاعر الجاهلي القائل :

ونشرب إن وردنـــا المـــاء صفوا ويشرب غيرنـــا كدرا وطينا

ويضيفون جهلا ، ونكرانا ، والحادا في بعض من آدابهم المعاصرة دعوة الحادية يروج لها بعض المثقفين على موائدهم بحجة الثقافة .

لا يا قومنا : ثقافتنا في إسلامنا ، وتقدمنا في ديننا ، ومن لم يجد في الاسلام الزاد الفكري لوجدانه ، فليعش مع أعداء الحق ، والعدل ، والضمير ، ولقد شهد عالم الثقافة والمعرفة بأن الاسلام زاد لمن لا زاد له .

واذا كنا قد أخذنا مجال الأدب ، فان هناك الكثير ألا ترى الصبغة الصليبية التلمودية الممثلة في فلسفة ماركس وهيجل وسارتر وسيمون ، خبرونا بربكم الى متى هذه السذاجة ، والى متى هذه المغالطة العلمية ، والعلوم الانسانية أغلبها على طريقة الصليب ، والمطرقة ولا علم الا وفرويد حاميه ، ولا فكر الا وسوبنسر راويه .

أين العلوم الانسانية الاسلامية قد نسى الناس أو تناسوا عمالقة الفكر الاسلامي الانساني :

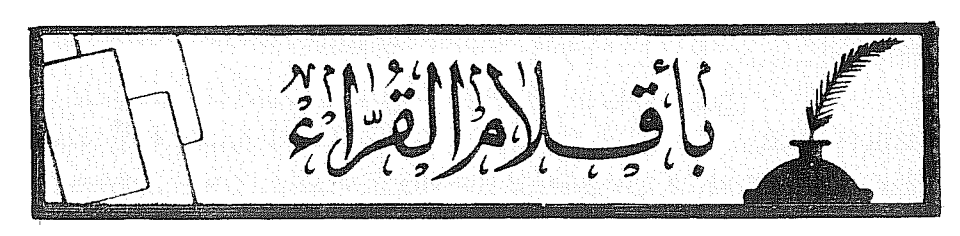
ابن سينا والفارابي والخازن وابن الهيثم والغزالي وابن رشد وابن النفيس بل نسى العالم أيضا في عالم القيادة ، وحسن الادارة ، وقمة التفاني في السهر على مصالح الناس المتمثلة في الخليفة عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبدالعزيز ، وصلاح الدين ، وغيرهم من العظماء ، وتغنوا بنابليون وهتلر وماركس .

وهم لا يمثلون شيئا يذكر إذا عقدت أدنى مقارنة ، مع العلم انها مقارنة لا تقوم أصلا ولا يصح أن تعقد فالبون شاسع .

يا قوم إسلامنا هو الفكر ، هو الثقافة ، مهما نسى الناس ، وجهل الخلق ، وقوادنا سيظل التاريخ الانساني يفخر بهم مادام في العالم إنصاف وحسن تقدير .

وكتب الينا الشاب صالح فريرة بالجمهورية التونسية يقول :

انا تلميذ في السنة السابعة آداب بالمعهد الثانوي ابن رشيق .
لقد اعجبت اعجابا لا حد له ، بالمواضيع التي تتناولها مجلة الوعي الاسلامي والتي اعتبرها اولى المجلات الاسلامية انتشارا وسعيا نحو الهدف الاسلامي العظيم ... ولكن المجلة تصل الينا متأخرة عن موعد صدورها . ونرغب في تلافي هذا التأخير . واني ارغب في التزود بالثقافة الاسلامية ولقد وجدت ضالتي في العدد ١٦٤ عندما اعلنت المجلة عن قرب افتتاح معهد للدراسات الاسلامية بالكويت في العام القادم وآمل أن تتاح لي فرصة الالتحاق بهذا المعهد وانا شاب مسلم ابحث عن منهج اسلامي يشبع رغبتي في تعلم مبادىء الاسلام الحنيف .



جاءنا من الاستاذ عبدالله شحاته مقالة تحت عنوان (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) نقتطف منها ما يلي :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/١١

وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس الحياة الاسلامية وأرسى معالم التوحيد فقضى على مظاهر الشرك والوثنية وحرر الانسان من العبودية لغير الله وقدم للبشرية امة مثالية في صدق العقيدة وقوة اليقين وحسن التربية وجلال العبادة وجمال السلوك . فكانت بحق خير امة اخرجت للناس ، ومن خصائص هذه الأمة ، الأمر بالمعروف والحث على الفضائل ، والنهي عن المنكر والتحذير من الرذائل ، واقامة الحق والعدل .

وكان القائد العظيم والنبي الكريم مثلا اعلى ونموذجا رائعا في حسن سيرته ونزاهة حكمه ، وعدم خشيته في الله لومة لائم .

وربى النبي أتباعه على الجهر بالحق والدعوة اليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، محافظة على ذوق الأمة ان يفسد ، ودفاعا عن كيانها ان ينهار ، وذكر النبي اصحابه بما اصاب الأمم السابقة من فساد وكساد حين تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضرب الله قلوب بعضهم ببعض وسجل عليهم الاثم واللعنة ، قال تعالى : **(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)** المائدة / ٧٨ ، ٧٩ .

ولم يكف النبي عن تعليم أمته وتهذيبها طول حياته ، وامتدت وصاياه الى ما بعد وفاته ، فحذر المسلمين من الطغيان على امر الله والخروج عن طاعته ، وترك الجهاد في سبيله ، وبين ان الامة التي تهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفسد اذواقها فلا تنكر شرا ولا تأمر بخير ، ثم ينشأ فيها جيل واجيال تألف المنكر لطول مشاهدته ، وتنكر المعروف لقلة ألفه ، وعندما تفقد الأمة اخص خصائصها ، وأسباب رقيها وعوامل وجودها عندئذ تنتابها معاول الهدم ونذر الكساد ، فيقف المصلحون حيارى امام الداء العضال والمرض الخطير .

فاذا تنبهت الأمة من غفلتها وثابت الى رشدها ، واستهدت بهدى ربها وتمسكت بالجهاد ، ونبذت الفساد والطغيان ، فحرى بها ان تتبوأ منازل الشهداء ، وان تعيش عيش السعداء ، قال تعالى : **(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون)**الانبياء/١٠٥ .

وليس شرطا ان يكون المنتصر أقوى سلاحا وأقوى عتادا وانما واجب المؤمن هو بذل قصارى جهده في الاعداد المادي والمعنوي ، والمعرفة العلمية والعملية بأحدث اساليب الحرب وأنجح فنونها حتى يتم تفوقه على خصمه قال تعالى : **(يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين)** الانفال/٦٥ ، ٦٦

ولما تولى خالد بن الوليد امرة جيوش المسلمين في حرب الروم سمع رجلا يقول : ما اكثر الروم وما أقل المسلمين . فغضب خالد وقال : بل قل ما اقل الروم وما اكثر المسلمين انما تقل الجيوش بالهزيمة ، وتكثر بالنصر ، والله لوددت أن الاشقر برأ من مرضه وانهم اضعفوا في العدد).

فهو يتمنى ان يكون فرسه سليما من المرض وان الروم ضعف عددهم .

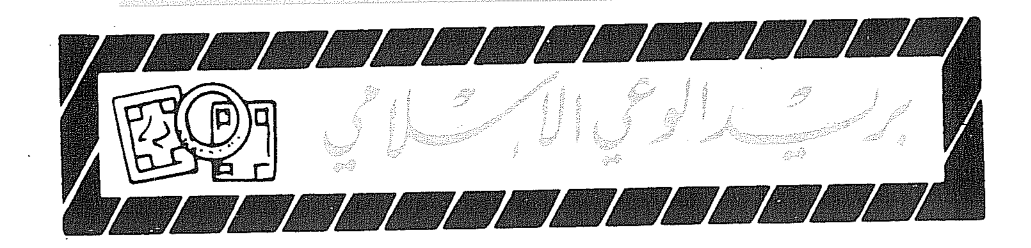
حقا لقد كان قتال سلفنا قتال الأتقياء الأوفياء ، الذين باعوا انفسهم لخالقهم ، وتطلعوا الى علياء الجنان ونصروا شرع الله ودينه ، فنصروا على اعدائهم ، ورزقوا عز الدنيا وشرف الآخرة .

(وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) الانفال/١٠

وجاءنا من الاستاذ عبدالله الجار الله كلمة بعنوان : (من فضائل القرآن) ننشر منها ما يأتي :

من فضائل القرآن .. انه يشفع يوم القيامة لمن قرأه وعمل به في الظاهر .. قال صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه » رواه مسلم : وقال عليه الصلاة والسلام « يؤتى يوم القيامة بالقرآن واهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وقال « يجئ القرآن يوم القيامة فيقول (يارب حله) يعنى قارئه العامل به فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له : ارق وارق فيزداد بكل آية حسنة » رواه الترمذي .

وقال عليه الصلاة والسلام « من قرأ القرآن فاستظهره (اي حفظه عن ظهر قلبه) فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار » اخرجه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشرة امثالها رواه الترمذي .



الأحاديث الصحيحة

وفي رسالة من الأخ رياض بلقيس الطرابلسي تونس ـ يطلب فيها الاكثار من ذكر الأحاديث الصحيحة في المجلة مع شرحها .

ويطلب زيادة عدد صفحات المجلة .

وتلخيص كتب اسلامية والحديث عن شخصيات اسلامية .

نقول له :

إن الأحاديث الصحيحة ننشرها ، ونقوم بشرحها ، ونقدم كل شهر حديثا تحت عنوان : « من وحي النبوة » .

نتحرى أن يكون من كتب الصحاح ، واقرأ المجلة فستجد بغيتك من هذه الأحاديث .

والمجلة بحجمها الحالي أعتقد أنها مناسبة ، وليست العبرة بعدد الصفحات ، وانما العبرة بما يقدم فيها من فائدة علمية جليلة ، واسلامية ثقافية مفيدة تفيد الشباب والشيوخ ، وتعايش كل المستويات على اختلاف ثقافاتهم وتنوعها ، فكل همنا تثقيف جيل يؤمن بدينه عن علم ووعي وفهم وبصيرة .

وأيضا المجلة تقدم كتابا للشهر ، وتراعي أن يكون بحثا اسلاميا ، وهو باب موجود نحرص عليه .

ويقدمه أساتذة متخصصون أصحاب أقلام ودراية ، يعرضونه بطرق جيدة يحرصون أن يكون ذلك هادفا مؤثرا ، ولا يغفلون الجوانب التي تستحق النقد حتى يكون الموضوع مكتملا من حيث إبراز النواحي الهامة في الكتاب ، وتوضيح الجوانب الخافية ، أو التي تحتاج إلى بيان .

ومن حين لآخر تقدم المجلة شخصيات إسلامية لها في تاريخ الاسلام أثر واضح وهم أصحاب أخلاق فاضلة يقتدى بهم ، فهم مضرب الأمثال في كل عصر ، نقدم هؤلاء ليكونوا أسوة ولنأخذ بيد الشباب دائما ، ونشدهم لاستقراء تاريخ عظمائهم ، واحياء سيرة أمجادهم ، فالتاريخ عبرة وعظة .

وبسط سيرة هذه الشخصيات إنما هو تقريب ، وإيضاح لما خفى من سمو شخصياتهم ، وعرض لما مضى من قوافل الأبطال الأمجاد الذين يزخر تاريخنا

بهم ، ففيهم المقاتل والشهيد وفيهم العالم الشعلة المضيئة لجوانب الحياة .. وهم سر تاريخ حافل مجيد .

هذا وانا نشجع فيك حسن ملاحظتك ، وحرصك على القراءة والبحث عما يفيدك ، ويفيد غيرك .

فالتزم هذا المنهج فسيكون دليلك للخير ، وهاديك على الطريق ، وصراطك المستقيم ، والنور الوضاء ، والحق المبين ، فتلك هي الحقيقة الباقية ، ويا ليت قومي يعلمون .

ليس هناك اختلاف

لماذا تختلف المذاهب الاسلامية في بعض العبادات ، مع أن القرآن الكريم ما زال موجودا وصحيحا لم يدخله التحريف ، وهو الأصل في الأحكام ؟

عبدالرحمن عيسى ابراهيم ـ السودان

مذاهب أهل السنة لا تختلف في الأصول ، بمعنى أن الكل ثبت عنده أن أركان الاسلام خمسة بنص الحديث الصحيح « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان » متفق عليه .

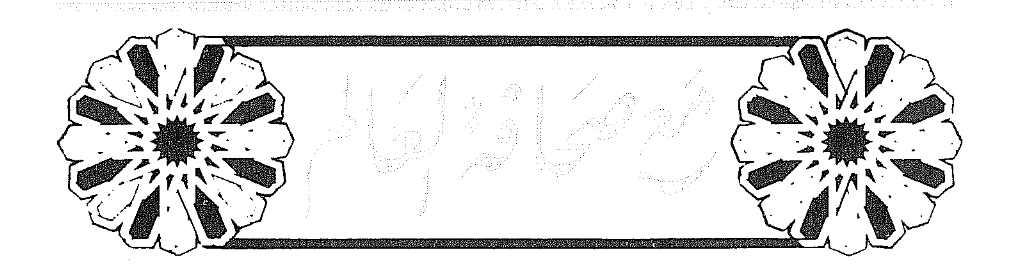
وأكد هذا المعنى القرآن الكريم ، وعمل به المسلمون دون اختلاف ، وانك لا تجد إماما واحدا قال بأن أوقات الصلاة المفروضة أربعا بدلا من خمس أو أن أحدهم قال بصوم رجب بدلا من رمضان .

ولكن الاختلاف الموجود هو في الفروع والسنن والمستحبات ، فمن قائل بأن وقت القنوت في وتر العشاء لأن مصدر اثباته عنده هكذا ، وآخر يقول بل في الفجر ، وكون القنوت في وتر العشاء ، أو في الفجر لم يخرج القنوت عن الغرض منه وهو الدعاء .

وكما تقول فان القرآن الكريم لم يدخله التحريف ، ولن يكون لأن الله سبحانه قد حماه ، من هذا يقول الله سبحانه : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) .

وما دام الله قد حماه من التغيير والتبديل فلن تجد الأمة الاسلامية قد غيرت الأصول الاسلامية أبدا ، وأيضا هناك من السنة ما ثبت واتفق علماء الحديث على صحته والمعروف أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع .

والمذاهب الاسلامية اجتهدت في الفروع ، والاجتهاد ليس ممنوعا ، وقد اباحه الاسلام ، ولكنه وضع قواعد لهذا الاجتهاد لا بد من رعايتها دون الخوض في الحديث عن الأحكام بدون خلفية علمية اسلامية .



عقدت في العاصمة الأردنية عمان في شهر شعبان الماضي « الندوة العالمية للاسراء والمعراج » والتي نظمتها وزارة الأوقاف والمقدسات الاسلامية هناك . حضر الندوة ممثلون عن عدد كبير من الدول والمنظمات الاسلامية وكبار العلماء والمفكرين الاسلاميين . وقد خصص الجانب الاكبر من الندوة لمناقشة قضية فلسطين ووضع القدس الشريف كما بحثت الندوة في عدد من الأمور التي تهم المسلمين في المجال السياسي والاقتصادي والتربوي كما ناقشت دور الاعلام في تطوير الدعوة الاسلامية .

وفي نهاية اللقاء قدم الحاضرون عدة توصيات وقرارات حول المسائل التي بحثت في الندوة .

وقد تركزت توصيات الندوة حول قضية القدس ، والأراضي العربية المحتلة ، فدعت الى انشاء صندوق خاص باسم « صندوق الاقصى » يتاح للمسلمين من خلال دعمه أن يجاهدوا بأموالهم وأوصت بانشاء مركز للدراسات والبحث والاعلام خاص بالقدس لتوضيح هذه القضية امام العالم ومكانتها لدى المسلمين كما وجه الحاضرون نداء الى الحكومات والعالم الاسلامي كله يحثهم فيه على ضرورة العمل على استرداد القدس والحفاظ عليها لما لها من مكانة في نفوس المسلمين وتعبئة الجهود المادية والبشرية من اجل هذا الغرض واستنكرت الندوة تدنيس السلطات الاسرائيلية لمقدسات المسلمين في الاراضي المحتلة لاسيما المسجد الاقصى والحرم الابراهيمي .

كما اصدرت الندوة توصية بضرورة الاتصال بين جميع الحركات والجمعيات والمراكز الاسلامية وتعزيز التنسيق والتكامل بينهم لخدمة الدعوة الاسلامية .

وفي مجال الاعلام اوصت الندوة الحكومات والجهات المعنية بضرورة استخدام التطور الذي حدث في وسائل الاعلام في نشر الدعوة في العالم الاسلامي وخارجه . كما لاحظت اللجنة بأسف مدى خروج وسائل الاعلام في الدول الاسلامية عن الخط الديني في مضمونها .

وقد القى السيد يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت كلمة امام الندوة اكد فيها على ضرورة وضع استراتيجية عامة وتفصيلية لانقاذ مدينة القدس ومقدساتها الشريفة وحث على تضافر جهود الدول الاسلامية جميعها من اجل هذا الغرض كما اكد على ان الكويت تضع كل امكانياتها وطاقاتها في سبيل انجاح هذا العمل الجليل والوصول الى الغاية المرجوة بعون الله .

* *

المعرض الخامس للكتاب الاسلامي

اقيم في الثلث الأول من شهر رمضان الماضي المعرض الخامس للكتاب الاسلامي الذي نظمته جمعية الاصلاح الاجتماعي بالكويت ، وقد ضم المعرض عددا كبيرا من الكتب والمؤلفات والدوريات في مختلف جوانب الحياة الاسلامية من بينها مؤلفات في السيرة النبوية الشريفة والعبادات والسياسة والحكم والطب والاخلاق ومؤلفات في السلم والحرب بالاضافة الى مجموعة فاخرة من المصاحف الكريمة وشرائط تسجيلية للقرآن الكريم ومحاضرات دينية لكبار العلماء وقد شهد المعرض اقبالا جماهيريا كبيرا بالمقارنة الى الأعوام السابقة مما جعله ملتقى فكريا هاما لتعميق الوعي الاسلامي ونشر الثقافة والتربية الاسلامية الحقة .

وقد شارك في المعرض عدد كبير من دور النشر والتوزيع المحلية والاسلامية وكان السيد يوسف جاسم الحجي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية قد قام برعاية حفل افتتاح المعرض والقى كلمة اثنى فيها على نوعية الكتب المعروضة وجهود المشرفين على اقامة المعرض . ودعا الى الاقبال على هذه الكتب والافادة منها ، ففيها مجال رحب للاطلاع والثقافة العلمية والدينية .

أعلنت وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية التعليمات الجديدة الخاصة بتنظيم شؤون الحج لهذا العام .

وتقضي التعليمات الجديدة بأن يكون للحاج حرية اختيار المطوف الذي يريده

من المطوفين المعتمدين وان يقيم عند المطوف الذي يختاره على ان يدفع له مباشرة مقابل السكن . كما حددت التعليمات اجور الخدمات التي تقدم للحاج على النحو التالي :

(٢٧٤) ريال سعودي مقابل اجور خدمات المطوفين بمكة المكرمة والأدلاء بالمدينة المنورة والوكلاء بجدة واجور حمل الأمتعة في منافذ الدخول بالسعودية ومقابل السكن بمدينة حجاج الجو والبحر بجدة وينبع . ويتم تسديد هذا المبلغ بموجب شيك معتمد لامر مكتب الوكلاء الموحد على احد البنوك المعتمدة ، كما يمكن تسديده نقدا بالريال السعودي .

(٢٩٥) ريال سعودي اجور نقل الحاج من جدة الى المدينة المنورة ثم مكة او العكس بالاضافة الى مصاريف نقل الحاج من مكة الى عرفات ومن المزدلفة ومنى والعودة ويدفع الحاج هذا المبلغ نقدا لدى النقابة العامة السعودية للسيارات او لدى اي من ممثليها المعتمدين .

ـ بالنسبة لاجور السكن تتراوح قيمتها كما ذكرت التعليمات ما بين (٤٥٠) الى (٧٥٠) ريال سعودي للحاج وذلك عن كل المدة التي يقضيها في مكة المكرمة لاداء الفريضة الى ان يعود الى بلاده ، وان يتراوح السكن في المدينة المنورة ما بين (١٥٠) الى (٢٥٠) ريال للحاج وان يكون اجر الخيمة في عرفات ومنى مائة ريال سعودي .

وتمنع التعليمات الجديدة كافة الحجاج من السكن والاقامة في الحرم او الشوارع والأرصفة في كل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وذلك حفاظا على الصحة العامة .

* *

اذاعة اسلامية من اوربا

يجرى الآن الاعداد لانشاء محطة إذاعة إسلامية من اوربا يكون مقرها لندن . يقوم بالتمويل والاشراف على اقامة هذا المشروع الاسلامي الكبير عدد من الجمعيات والمراكز الاسلامية بأوربا الغربية ، بالاضافة الى مساعدات مادية وعينية من الدول الاسلامية .

من المنتظر أن تقوم الاذاعة الجديدة بتوسيع نطاق البث بحيث تشمل مختلف انحاء اوربا . وستشمل برامج الاذاعة الجديدة بث تلاوة من القرآن الكريم تنقل ترجمتها باللغة الانجليزية والفرنسية والاسبانية للوقوف على معاني القرآن الكريم كما تشمل برامج دينية وثقافية واجتماعية الى جانب نشرة اخبار عالمية ومقابلات وسيكون البث بعدة لغات منها الانجليزية والفرنسية والروسية والصينية .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

قطر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال	أغسطس	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
			فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الخميس	١	٢٣	٩ ٣٧	١١ ١	٥ ٣١	٩ ٥	١ ٢٢	٣ ٥٧	٥ ٢١	١١ ٥١	٣ ٢٥	٦ ٢٠	٧ ٤٢
الجمعة	٢	٢٤	٣٩	٢	٣١	٦	٢٢	٥٨	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠
السبت	٣	٢٥	٤١	٤	٣٢	٧	٢١	٥٩	٢٢	٥٠	٢٥	١٨	٣٩
الاحد	٤	٢٦	٤٢	٥	٣٣	٧	٢١	٥٩	٢٢	٥٠	٢٤	١٧	٣٨
الاثنين	٥	٢٧	٤٤	٧	٣٤	٨	٢٠	٤ ٠٠	٢٣	٥٠	٢٤	١٦	٣٦
الثلاثاء	٦	٢٨	٤٦	٨	٣٤	٨	٢٠	١	٢٣	٤٩	٢٣	١٥	٣٥
الاربعاء	٧	٢٩	٤٨	١٠	٣٥	٩	٢٠	١	٢٤	٤٩	٢٣	١٤	٣٤
الخميس	٨	٣٠	٥٠	١٢	٣٦	١٠	٢٠	٢	٢٤	٤٩	٢٣	١٢	٣٣
الجمعة	٩	٣١	٥٢	١٤	٣٧	١١	٢٠	٣	٢٥	٤٨	٢٢	١١	٣١
السبت	١٠	سبتمبر	٥٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠	٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠
الاحد	١١	٢	٥٥	١٧	٣٩	١٢	٢٠	٤	٢٦	٤٨	٢١	٩	٢٩
الاثنين	١٢	٣	٥٧	١٨	٣٩	١٣	١٩	٥	٢٦	٤٧	٢٠	٨	٢٧
الثلاثاء	١٣	٤	٥٩	٢٠	٤٠	١٣	١٩	٦	٢٧	٤٧	٢٠	٧	٢٦
الاربعاء	١٤	٥	١٠ ١	٢٢	٤١	١٤	١٩	٦	٢٧	٤٧	١٩	٥	٢٥
الخميس	١٥	٦	٢	٢٤	٤٢	١٥	١٩	٧	٢٨	٤٦	١٩	٤	٢٣
الجمعة	١٦	٧	٥	٢٦	٤٣	١٥	١٩	٨	٢٩	٤٦	١٨	٣	٢٢
السبت	١٧	٨	٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩	٨	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١
الاحد	١٨	٩	٨	٢٩	٤٥	١٦	١٨	٩	٣٠	٤٥	١٧	١	١٩
الاثنين	١٩	١٠	١٠	٣١	٤٦	١٧	١٨	١٠	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٩	١٨
الثلاثاء	٢٠	١١	١٢	٣٣	٤٧	١٨	١٨	١٠	٣١	٤٥	١٦	٥٨	١٧
الاربعاء	٢١	١٢	١٤	٣٤	٤٧	١٨	١٨	١١	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٥
الخميس	٢٢	١٣	١٦	٣٦	٤٨	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٥	٥٦	١٤
الجمعة	٢٣	١٤	١٨	٣٨	٤٩	١٩	١٨	١٢	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣
السبت	٢٤	١٥	٢٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٣	١٢
الاحد	٢٥	١٦	٢١	٤١	٥١	٢١	١٨	١٣	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠
الاثنين	٢٦	١٧	٢٣	٤٣	٥٢	٢١	١٨	١٤	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩
الثلاثاء	٢٧	١٨	٢٤	٤٥	٥٣	٢٢	١٨	١٥	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٧
الاربعاء	٢٨	١٩	٢٦	٤٧	٥٤	٢٢	١٨	١٥	٣٥	٤٢	١١	٤٨	٦
الخميس	٢٩	٢٠	٢٨	٤٨	٥٤	٢٣	١٨	١٦	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥
الجمعة	٣٠	٢١	٣٠	٥٠	٥٥	٢٣	١٧	١٦	٣٦	٤١	٩	٤٦	٣

طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –